١٥

روايات احلام

النَار النَائمة

3tt3.net

النار النائمة

«- لماذا تكرهينني؟

- الكراهية تلهبها التصرفات، تصرفاتك انت سيد ستينال. لقد كرهتك حتى قبل أن أراك».

على الرغم من أن نيل ستينال كان يتودد إلى اختها جويس بهدف الزواج. إلا أن هذا لم يمنع ترودي براند من الرغبة في جعل هذا الرجل ينزف كما تسبب في نزف قلوب العديد من الناس الذين تعرفهم وتحبهم.

لكن في غمرة حملتها القاسية، نسيت ترودي أمراً هاماً من وقائع الحياة: من السهل جداً أن تتحول الكراهية إلى حب...

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.	الإمارات: ١٠ دراهم	مصر: ٦ جنيه
سوريا: ٧٥ ل.س.	قطر: ١٠ ريال	المغرب: ١٥ درهم
الأردن: ١,٥ دينار	البحرين: ١ دينار	تونس: ٢ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس	السعودية: ١٠ ريال	عمان: ١ ريال

3tt3.net

١ ـ ليست شبحاً

لم تكن ترودي براند قد قابلت نيل ستينال قطُّ ذلك أنها كانت تتجنب لقاءه بشتى الوسائل. أما هذه الليلة فقد وجدت أن لا عذر لديها لتجنبه فالحفلة حفلة عائلية وللعائلة المكانة الأولى والمقام الأول في نفسها.

رغم الواقع المرير الذي يفرض عليها مقابلته فقد شعرت بالغضب يتعالى في ذاتها تجاه ما فعله وليس ذلك بسبب التشرذم الذي سببه لحياتها بل بسبب التشرذم الذي سببه لسبعة وعشرين رجلاً كانوا الدافع الأهم إلى سخطها وغضبها عليه.

لقد وضعت على كاهلها تَبِعة تصحيح الوضع الذي سببه، راسمة خططاً تحل هذه الأزمة لهؤلاء المساكين.

نيل ستينال!

الاسم بحد ذاته كان لعنة وكيف لا يكون كذلك وهو من سبّب الكثير من الآلام لأناس مقربين منها محبَّبين إلى قلبها ونفسها. إن تسلمه زمام الأمور كان غير أخلاقي وهذا ما يجب أن يعترف به لكن أمثال نيل ستينال يجب أن يجردوا من أيّ احترام، ليكونوا عبرة لأمثالهم من الوحوش!.

3tt3.net

كانت هذه الفكرة قد أرضت نفس ترودي الغاضبة التي راحت تفكر بأصدقائها ومعارفها الذين يقدرون على تحقيق ما تصبر إليه وبالطريقة التي تريدها ورغم اتساع عدد معارفها المثقفين من ذوي المراكز المرموقة، إلا أن الشخص الوحيد الذي تبادر إلى دهنها، كان دوريس غودريك، الصحافية المتخصصة بمقالات الفضائح، ولكنها لن تنفع أهداف ترودي في هذه المسألة الهامة.

وهذا يعني أن عليها أن تقوم هي نفسها بشيء ما بسرعة! فالوقت يجري بسرعة، والعمل الفعّال ملحّ. فلو لم تنل الفرصة المناسبة فستسعى لخلقها بنفسها حتى تستطيع أن تحدث نيل ستينال بصراحة عن الأوضاع التي سببها. وسيجد صعوبة في الخلاص منها في منزلها. مع أن مجابهته بشأن أعماله اللاإنسانية أمر خطير. لذا فكرت أن الخير لها أن تختلق فكرة أفضل.

التقطت أحمر الشفاه الأكثر لمعاناً عندها، فمررته على شفتيها. وهي تتمنى أن تجعل هذا الرجل ينزف كما نزفت قلوب الناس الذين تعرفهم وتحبهم! ولكن.. حياة الموظفين، التي تأثرت بشكل مرير منذ استيلائه على شركتهم، لا تعني له شيئاً. فهو بكل بساطة يضيف شركة أخرى إلى شبكة شركاته العالمية للنقل. وهو بالتأكيد لن يهتم بأناس مثل السيد تومسون العجوز الذي لا يملك أي أمل في أن يجد وظيفة أخرى له عندما يتم كنسه خارج وظيفته. كما حصل فعلاً.. والمخاوف التي عصفت بمكاتب الشركة خلال الأسابيع الأخيرة كانت مخاوف حقيقية لم تستطع تجاهلها إطلاقاً.

لم تشعر قطُّ بمثل هذه الكراهية للحفلات، لكنَّ الغضب والسخط اللذين ولدتهما قساوة نيل ستينال العديم الإحساس

جعلا من فكرة إقامة الحفلة فكرة قذرة.. خاصة وأنها ستصحبه فيها لتنفذ ما تريد فعله.

كانت خلال سنوات عمرها الأربع والعشرين تنظر إلى الحياة، على أنها لعبة تهدف منها إلى كسب أكبر قدر ممكن من المرح ولم يستطع شيء أن يؤثر على نظرتها إلى الحياة حتى تجربتها المريرة خلال الزواج هذه الفترة التي تعتبرها درساً مؤلماً علمتها إياه الحياة والتي خرجت منها دون أن تسبب أي ألم للطرفين. لكن ليس في استيلاء نيل ستينال على الشركة بارقة خير لأن النتائج التي ولدها هذا الاستيلاء صدمتها صدمة قوية وبينت لها أن العيش الرغيد في هذه الحياة هو امتياز لا يتمتع به سوى القلة من البشر.

لم تلقَ احتجاجاتها صدى في نفس والدها رونالد براند الذي قرر بيع شركته لكنها رغم ذلك لم تلمه لأن العرض من الوجهة المالية الصرف كان مغرياً جداً حتى لا يكاد يرفضه عاقل. أضف إلى ذلك أن والدها أصبح في سن يحتاج فيه إلى التقاعد التماساً للراحة.

لم تشعر ترودي بأدنى رغبة في النزول إلى الطابق الأرضي لتتعرف إلى نيل ستينال، فالبؤس الذي سبّبه جعلها لا ترجو له خيراً ومع ذلك عليها استقباله لأن هذا أمر يتوقعه والدها وأختها جويس كما يتوقعه دون أدنى شك نيل نفسه. فالعائلة كلها تسعى كي تشجع اهتمامه المفترض بجويس. مع أن شغف أختها بفكرة الزواج من شخص خالٍ من العاطفة مثل نيل ستينال كان أبعد من تصورات ترودي، فهذا الزواج سيكون وكأنه الزواج من آلة كومبيوتر. ومع ذلك فلن تدع أحداً يقول بأنها قد خذلت العائلة!.

3tt3.net

تنهدت بنقمة ثم تخلّت عن أفكارها الناقمة مصممة على أن تكون خلال هذه الحفلة رابطة الجأش. وما يجب عليها أن تفعله هو الواجب، ومن غير المجدي البكاء على ما تم هدره. فالعمل البنّاء الذي قد يساعد الجميع في الاحتفاظ بوظائفهم هو الرد الأمثل على المشكلة القائمة.

وإذا كانت جويس تصرُّ على المضي في هذا الزواج الكارثة، فهذا من شأنها. أما هي وبعد تجربتها الفاشلة في دنيا الزواج، فما عادت في وضع يخولّها تقديم نصح أو انتقاد لأية فتاة اختارت زوجاً. ولا ضير أن أخطأت جويس فهي نفسها قد أخطأت.

وما كادت ترودي تصل إلى رأس السلم حتى سمعت صوت والدها في البهو السفلي ينادي الوافد الجديد.

ـ نيل..

ترك مجموعة الضيوف التي كانت لا تزال تتسكع عند مدخل غرفة الاستقبال مادّاً يديه ليرحّب بالرجل الذي أرشده الخادم إلى الداخل، بدا لها في السادسة والثلاثين من عمره وهو كما قالت جويس ما زال أعزب بسبب استغراقه في جمع كل هذا المال الذي يمتلكه. يا له من شرير قاسي القلب!.

وجاء الرد سريعاً من الرجل بصوت مرح، عميق ممزوج بشيء من الحرارة:

ـ إنها حفلة رائعة يا راو.

لم تستطع ترودي سماع جواب والدها لأن اهتمامها استأثر بتأمل هذا الرجل ذي الشعر الأسود الكث الأملس الذي يفوق سواده اسوداد بزته. كان أطول من أبيها، نحيف الجسم، عريض المنكبين، له بنية قوية تدل بوضوح على شخصية قوية، أما وجهه

فلم يكن على جانب كبير من الوسامة، وهذا ما أرضى غرورها قليلاً. وقد تعجبت من انجذاب أختها له هذا إذا كانت فعلاً منجذبة إليه.

وكأنما حاسته السادسة قد أنذرته إلى سخطها وسخريتها فصوّب نظره عالياً حيث تقف، وإذ بها رغم كرهها الشديد له قد انجذبت إلى هذه النظرة الحادة السريعة. بدا لها أن له جاذبية وسحراً خاصاً، ودون أن تدري شعرت وكأن لا وجود لإنسان آخر حوله بل بدا وكأنه الشخص الوحيد الذي يستحق الاعتراف بوجوده في هذا الجمع. أمّا هو فلم تبرحها عيناه السوداوان اللتان برقتا بذكاء غريب. بدا وكأنه يعرف كل شيء، ويرى كل شيء.

ـ آه.. ها أنت أخيراً يا ترودي! لقد تأخرت في النزول (كان يحمل صوت والدها في طياته لهجة مؤنبة).

لم تدر كيف استطاعت ترودي أن تنتزع نظرها عن نيل ستينال، لتقول معتذرة:

ـ وهل تأخرت؟! آسفة! لم أنتبه لمضي الوقت.

فكرت أنه في سبيل والدها وأختها عليها أن تكون لطيفة! أجابها رونالد براند بسماحة قائلاً:

ـ حسناً.. يبدو أن الوقت لم يضع سدى.

قال كلماته ثم ردّ بصره مبتسماً إلى الرجل الذي كان قد قطع حواره معه عندما رأى ابنته. وفي الواقع أن نيل ستينال لم يلاحظ ابتسامة رونالد بل إنه ما عاد يلاحظ إلا المرأة التي هبطت السلم نحو البهو. لم تكن أجمل امرأة رآها في حياته، إنما كانت كالصاعقة، لها حضور قوي كما الإشراق دون أن يكون للجمال علاقة بذلك السحر وتلك الجاذبية. كانت الحيوية تبدو وكأنها

3tt3.net

تنبعث منها انبعاثاً. . حيوية متمردة، كهربائية استحوذت عليه، تحدته، صعقته، وأثرت فيه تأثيراً آسراً. لقد أحسَّ منذ أن رمقتها عيناه بالأرض تميد تحت قدميه.

لم يثب إلى رشده إلا بعد أن أصبحت على مقربة منه، عندها استطاع إمعان النظر في قوامها وملامحها: جدائل سوداء غزيرة معقوصة إلى الخلف بشدة، وحاجبان مستقيمان يوحيان بالغضب فوق عينين خضراوين تحدتا بوقاحة وجرأة كل كبريائه، وأنف رقيق صغير يرتفع بكبرياء وعنجهية وفم يدعو إلى اغتصابه بنهم. . . الشفة السفلى ممتلئة بإغراء، والعلوية جذابة لها انحناءة القوس. . . وذقن صغير يوحي بالإرادة، أما الغمّازة العميقة في منتصفه فتدل على حب القتال.

ـ ترودي، هذا نيل ستينال. وهذه ابنتي ترودي يا نيل.

بدا التقديم الذي قام به رونالد وكأنه يأتي من عالم آخر. مد نيل، متأخراً، يده ثم رسم ابتسامة فوق شفتيه.

ـ يسعدني لقاؤك يا ترودي.

أجبرت نفسها على لمس يده لأن الأدب يفرض عليها ذلك خاصة أمام والدها.

ـ كيف حالك سيد ستينال؟.

شددت متعمدة على المخاطبة الرسمية. لكن الأصابع الطويلة الدافئة التي أطبقت على أصابعها ضغطت بقوة لا لزوم لها باعثة إليها شعوراً مزعجاً بفخ يكاد يطبق عليها، ولكنها لم ترد على حرارة مصافحته.

قال لها بصوته المغري المبتسم:

ـ لقد انتظرت طويلاً لحظة هذا اللقاء الممتع.

ـ وأنا أيضاً انتظرت هذه اللحظة.

صب المزيد من السحر في ابتسامته وهو يقول:

ـ لقد كانت شبحاً للبهجة، عندما التمعت لأول مرة فوق نظري. . .

قال الكلمات المقتطعة من قصيدة شعرية بلهجة ناعمة زادت من ارتجاف أوصالها. من الجميل قول الشعر، شرط ألا يصدر منه! وتصاعدت حدة غضبها أكثر فأكثر.

ـ لقد أدهشني اقتباسك هذا الشعر الرومانسي.

كانت تريده أن يعرف أنها تعلم أن هذه العبارات لم تنبع من ذاته. لذلك حاولت بكلماتها تلك أن تمنعه من إظهار لباقته في الحديث.

ـ إن كلماتك التي تفوهت بها لا تطابق الواقع إطلاقاً لأنني بكل بساطة لست شبحاً.

أجابها بنعومة، وعيناه ترقصان بسعادة ورغبة لا تخفى:

ـ ولا أتمنى أن تكوني شبحاً، يا ترودي.

تصاعد غضبها أكثر فأكثر. كيف يكلمها بهذه الطريقة وهو ما أتى إلى منزلهم إلا ليكون مع جويس! أليس لدى هذا الرجل قليلاً من اللباقة أو بقية من ضمير. تصرفه الخسيس هذا زادها احتقاراً له. فلو توجب على إنسان ما تلقي بعض الدروس لكان هو أولهم. قالت له وهي تبتسم ابتسامة تشبه ابتسامة المركيزة دوبورجيا الشهيرة عندما كانت تسمم أعداءها:

ـ لا يدعوني ترودي إلا رونالد وأصدقائي المقربون أما أنت سيد ستينال فبإمكانك دعوتي بالآنسة براند!

تبع كلامها صمت قصير مشحون، جعله وللمرة الأولى يشعر

3tt3.net

وكأن الكلمات تخونه. أما ترودي فقد رأت أن هذه الوخزة كانت ضرورية لكبريائه الأرعن.

وصلت جويس في وقت يعتبر أكثر من مناسب ذلك أن حدّ سخطها قد بلغ درجة الغليان الموشك على الانفجار. وكان نيل ستينال لا يزال ممسكاً بيدها بطريقة مغيظة، وكي لا تزيد النار وقوداً بازدرائها له، امتنعت عن سحب يدها منه. وكم سرها وصول جويس التي طالبت أن يرافقها.

قالت جويس بمرح وهي تلف ذراعها حول نيل ستينال.

ـ أكنت تحدّث نيل عن العمل ثانية يا أبي؟.

دعت حركتها هذه نيل إلى تخفيف قبضته عن يد ترودي، التي سارعت إلى التراجع. وضحك رونالد بارتياح:

ـ لا.. يا عزيزتي.. لقد كنت أقوم بالتعريف. يمكن أن تأخذيه الآن.

أضافت ترودي عن عمد:

ـ إنه لك كله!

ورمقتها جويس بنظرة تحمل عدة تساؤلات، لكن ترودي استطاعت أن ترسم ابتسامة تطمئن بها أختها الصغيرة التي تشعر تجاهها بمسؤولية كبيرة..

سارعت إلى القول بإخلاص، وفي نيتها منع نيل من أن يسبقها إلى القول.

ـ تبدين جميلة جداً يا جويس!.

لم يدر نيل كيف استطاع أن يركّز اهتمامه على المرأة التي دعته إلى هذه الحفلة فقال:

ـ إنها جميلة كالعادة... أتريدين الانضمام إلينا آنسة براند.

لكن رونالد قاطعه وهو يشبك ذراعه بذراع ترودي:

ـ أريد التحدث إلى ترودي على انفراد أولاً. اذهبا قبلنا، ومتعا نفسيكما.

حذرته جويس بابتسامة وجهتها إلى أختها الكبرى:

ـ لا تتأخر مع ترودي يا والدي، فالجميع يسأل عنها ولن تبدأ الحفلة دون ترودي.

وهكذا تحرك نيل ستينال أخيراً للذهاب مع جويس دون أية كلمة أخرى، أما ترودي فاستجابت لضغط ذراع والدها فسارت معه إلى المكتبة في الجهة الأخرى للبهو.

قال لها ما إن أقفل الباب خلفهما:

ـ لم تتصرفي بود مع ضيفنا. أعلم أنك مستاءة لاستيلاؤه على الشركة، ولكنه ضيف في منزلنا و...

وقاطعته ترودي:

ـ لقد كان البادىء بالفظاظة! ألم تلاحظ طريقته في تأملي وكأنني نوع من الناس عليه أن يصنفني. ولم يكتف بذلك بل بدأ الغزل والعبث! ألم تسمع ما قاله؟ كيف يغازلني وهو يتودد إلى أختي جويس، إنه ليقرفني هذا النوع من العبث معي. هذا الرجل دون قلب، يا أبي. إنه عقل، دون مشاعر. وهو لن يجلب إلا الأسى والحزن لجويس.

تنهد بشدة:

ـ ترودي... لقد تأملتك أيضاً، إنك يا ابنتي كلما ظهرت ينظر الناس إليك وكأنك...

أخذ يلتفت برأسه بيأس كمن يبحث عن كلمات يصف طلّتها

3tt3.net

الآسرة التي تجذب إليها الناس. ابتسم ابتسامة جانبية وهو يضيف:

ـ عندما تطُلين تبدين ككوكب خارق يشق طريقه عبر الكون وهو يزيح كل شيء آخر أمامه، بألوانه الطبيعية الخارقة.

قطبت حاجبيها قليلاً غير راضية عما سمعت.

ـ ولكنني لا أقصد أن أكون كما تَصفُ.

ـ لكنك هكذا بكل بساطة يا ترودي. وأنا أقصد بقولي هذا أن نيل ستينال تصرف تجاهك كما يتصرف أي رجل آخر تقع عيناه عليك.

ـ وماذا عن ارتباطه المفترض بجويس؟.

لن تنجح محاولات والدها في شرح الأمر لأنها أحست بأن الوضع بين نيل ستينال وأختها ليس كما يجب.

ـ ليس لدي شك بأن نيل يجد جويس جذابة جداً، بطريقة مختلفة، فالتأكيد المبدئي شيء واستمراريته شيء آخر أما الآن فدعيني أذكرك أنك أنت من تسيطرين على الوضع يا ترودي، فالمرأة هي دوماً من تفعل هذا. ولكن ليس من الحكمة أن تكوني ظالمة في تطبيق المبدأ.

ابتسمت ترودي باستسلام جزئي:

ـ سأكون مهذبة معه رغم كرهي له هذا الكره الذي لا أجد فائدة تُرجى من إنكاره.

ـ أنت لم تعطه أقل فرصة يا ترودي!.

نيل ستينال لم يعط الكثيرين فرصة أيضاً هذا ما فكرت فيه ترودي بصمت، لكنها قالت:

ـ لست أدري كيف تقول «ألوان طبيعية خارقة» في وقت لا

أرتدي فيه سوى ثوب أسود.

نظر إليها والدها بابتهاج وهو يرى تلك الإشعاعات تخرج منها، تلك الإشعاعات التي لا علاقة للثوب الذي ترتديه بها.

ـ في ثوبك لمسة من اللون الليلكي والأخضر.. وبما أننا نتحدث عن الملابس يا ترودي، أجدني أمام الحديث عن حسابك المفتوح. فبما أنني تقاعدت الآن، فلن يكون لنا ذاك الرخاء الذي كان في الماضي. أنا لا أقصد التقتير عليك إنما أطلب شيئاً من الاقتصاد.

احمر وجه ترودي خجلاً، لأنها لم تنظر حتى إلى الثمن المعلق على هذا الثوب عندما اشترته، ولكنها كانت تعرف جيداً أن هذا المحل الذي اشترته منه لا يعرض شيئاً يقل ثمنه عن السبعماية جنيه. ثم هناك الحذاء الثمين الذي تنتعله قدماها. كانت طوال سنواتها توقع اسمها على فواتير الثياب الباهظة دون أن تفكر بالثمن، بينما الناس الآخرون يكافحون للبقاء على قيد الحياة بواسطة راتب شهري ضئيل. وما ترتديه هذه الليلة يمكن أن يعيل العجوز المسكين السيد تومسون مدة شهر.

ارتفعت عيناها الخضراوان مليئتان بالاعتذار:

ـ آسفة يا أبي.. لقد أخذت كل شيء قدمته لي وكأنه أمر واقع. ويجب علي أن أعيل نفسي الآن. علي أن....

وهز رأسه وهو يخطو بضع خطوات ليصل إليها ويلف يديه حول كتفيها:

ـ ترودي... لا تأخذي ما قلته بهذه الطريقة المؤلمة يا عزيزتي. أحب كثيراً أن أراك مرتدية ما تختارينه من فاخر الثياب. لكن كلماته لم تستطع محو المشاعر المزعجة التي سببها قوله

3tt3.net

فكان أن رفع إحدى يديه وضرب خدها المحمر خجلاً بحنان واهتمام. وتابع:

ـ ترودي.. إنه ليسُرني أن أبقيك في أفضل حال أستطيعه. فلا تحرميني من هذه السعادة. ولا تجعليني أشعر بأنني أفسدت هذه الحفلة التي أريدك أن تتمتعي بها.. هيا يا عزيزتي.. ابتسمي لي.

ابتسمت له، وقلبها ينقبض لهذا الأب العطوف الذي غزا الشيب شعره وفقدت عيناه الزرقاوان شيئاً من بريقهما وأثقلت السنون وجهه الوسيم دون أن تضعف الحنان والحب الذي يكنهما لها. ولفت ذراعها حول خصره الذي أصبح سميناً قليلاً وضمته إليها بقوة، وصرخت بحرارة:

ـ أعدك أن أكون أكثر اقتصاداً في المستقبل يا أبي.

ـ قد يكون هذا مملاً بعض الشيء، وأنا لا أعتقد أنك ستنجحين.

ورفعت إليه عينيها المثقلتين بالدموع:

ـ لست أدري كيف تحملتني كل هذه السنين.

وأخذ يعبث بشعرها!.

ـ لقد أصبحتِ وشقيقتكِ إدماناً لي، أما الآن فالأفضل أن نتحرك خاصة وأن الحفلة لن تبدأ دونك.

أمسك بذراعها يرافقها إلى غرفة الاستقبال مسبّباً دخولهما بلبلة بين الضيوف فكان أن ابتسم رونالد لنفسه وقد أحس بموجة تصاعد الإثارة والترقب. وجُذبت ترودي من جانبه لتشكل نواة مجموعة حميمة من الناس، وبدأت الحفلة تنبض بالحركة. لحظة دخولهما تركزت عينا نيل ستينال على ترودي التي أحست بهما

تجذبانها، لكنها تحدّت هذه الجاذبية.

ستنتصر عليه قبل أن تنتهي هذه الحفلة، هكذا صممت، ثم سترميه بكل ما خططت لتقوله! من الواضح لها إن والدها وجويس لا يفهمان طبيعة الرجل الذي يتعاملان معه.. ولقد حان الوقت ليواجه نيل ستينال حقيقة نفسه!.

أخذ نيل ستينال يرمقها من مكانه بترقب، وقد قرر بصمت أن يصل إليها قبل أن تنتهي هذه الليلة. فهو، لم يستطع نسيان الشحنة الكهربائية التي هزت جسده عندما وقع نظره عليها. ولا استطاع كذلك أن ينسى عداءها له. ومن الواضح أن شيئاً ما يجب أن يوضع في مساره الطبيعي. لقد أمضى القسم الأول من حياته في بناء ثروة أصبحت الآن تتضاعف تلقائياً، وهو الآن بحاجة إلى رفيقة مناسبة تشاركه القسم الباقي منها.

جويس براند قد تكون الزوجة المثالية التي ستنجب له أطفالاً أصحّاء وهو على استعداد ليقدّم لها ما تريده مقابل ذلك. كان يعتبر الزواج وكأنه صفقة فيها الربح والخسارة، والزواج من جويس صفقة مقبولة.

أما في الوقت الحاضر، فيجب أن يلقن هذه «الشُّعلة» الصغيرة درساً مؤدباً. كان عقله يطلب منه الابتعاد عن ارتكاب أية حماقة في حق أخت جويس. لكن شيئاً ما في داخله جعله يصمم على الوصول إلى الآنسة ترودي براند قبل أن يأفل نجم هذه الحفلة.

3tt3.net

٢ ـ يقتلها أو يقبّلها؟

لم تتمتع ترودي بوقتها خلال الحفلة لكنها بذلت قصارى جهدها لتظهر تمتعها، لكنَّ أحداً لم يتساءل عن تصرفاتها، لأن مرحها المشوب بالتوتر عدى الحاضرين فجعل الحديث يجري مليئاً بخفة الدم، أما رقصها العاصف فقد انعكس على كل الراقصين. لقد أرادت في تنقلها ورقصها أن تكون المتألقة الوحيدة في الحفلة.

لكنها كانت تحس بحضوره يملأ كيانها كله.. وبعينيه السوداوين تلاحقانها باستمرار. كانتا تتسللان إلى نفسها.. تبعثان فيها السخط أكثر فأكثر. ورغم أن حسن اهتمامه ومرافقته لأختها قد يثيران الإعجاب إلا أن ترودي كانت تعلم يقيناً أن تفكيره ليس في وادي جويس أبداً لأنه كان يراقبها هي.. ينتظر.. كما تنتظر هي.. الفرصة السانحة.. للالتقاء من جديد مع العلم أن لكلٍ منهما هدفاً يختلف عن الآخر اختلافاً جذرياً.

كان يختلط بالناس بسهولة ويسر تدفعان إلى الإعجاب إذ كان الناس يحومون حوله كما تحوم النحلة حول الزهرة، يسليهم بحديثه ونوادره حتى كادت تنسى كرهها له بسبب هذه الجاذبية

الخاصة.

لم يرافق جويس طوال السهرة كما أنه لم يقترب من ترودي. ومن الواضح أنه كان يسعى تقريباً للتأثير عليها، محتسباً كل حركة من حركاتها. لكنها كانت تعد النفس بمفاجأة تُعِدُّها له.

كانت الأفكار تدور في رأسها عندما اقتربت منها السيّدة ڤيڤيان دورلاند، وهي صديقة عزيزة لها تُعنى بجمعية خيرية للأيتام بإخلاص واهتمام. ورغم فارق السن الذي بينهما إلا أنهما كانتا تتفقان رأياً وتنسجمان حديثاً.

ـ ترودي.. أيمكنني مكالمتك دقائق معدودة.

ـ طبعاً، ڤيڤيان.

اعتذرت من المتحدثين إليها ثم تقدّمت لتمسك يد صديقتها العجوز.

ـ كم أحب هذه الظلال البنفسجية القاتمة على شعرك، إنها في غاية الأنوثة.

وضحكت ڤيڤيان.

ـ يسعدني قولك. هذا يرفع معنوياتي. خاصة وأن أموري تسير من سيء إلى أسوأ، فطاهيتي تركتني أتخبط عاجزة عن إيجاد بديل لها. ولكن هذا ليس ما أريد أن أتحدث معك من أجله فأنت لا تعرفين شيئاً عن الطبخ... ما علينا حقاً أن نفعله يا ترودي.. إن علينا بكل بساطة أن نجمع أكبر قدر ممكن من التبرعات لأطفالنا اليتامى الذين يحتاجون إلى برامج رعاية مضاعفة.

ـ حدثتني جويس عن الأمر منذ أيام.

ـ فكري بالأمر.. إنهم صغار حُرموا العيش الطبيعي بفقدهم والديهم وهم بأمس الحاجة إلى رعايتنا ليحيوا حياة لائقة

3tt3.net

كالأطفال الآخرين. وبما أن الحكومة لا تعيننا كثيراً بتوجب علينا مضاعفة جهودنا وعلينا الآن جمع مليون جنيه على الأقل يا ترودي.

أسرعت ترودي للموافقة دون تفكير لأنها رأت أن المحادثة القصيرة قد تتحول إلى حديث طويل.

ـ الحملة التي اقترحتِها السنة الماضية لجمعية البكم والصم جذبت الجميع.. نحن بحاجة لشيء ضخم يا ترودي.. وأنت بارعة في طرح الأفكار. ولا بد أنك ستجدين فكرة مميزة تدفع الناس لفتح جيوبهم كما لم يفتحوها من قبل.

ـ دعيني أفكر بالأمر.. وإذا وجدت أية فكرة، سأعلمك بها فوراً.

ـ أرجوك أن تفكري بالأمر يا ترودي. إنها قضية إنسانية ملحة.

تلاشى صوتها متهدجاً وقد بدا الألم على وجهها. وعزمت ترودي أن توجه تفكيرها للأمر حال أن تجد الوقت، على أن لا يحرمها هذا من فرحة القول لنيل ستينال ما يستحقه!.

نظرت بطرْفها فرأت أختها تتحدث إليه، ثم تضغط على ذراعه بسرعة وهي تبتعد قاصدة غرفة الزينة، فجويس شديدة الولع في إصلاح زينتها بين حين وآخر. في هذه اللحظة تبادر إلى ذهن ترودي فكرة ترجمتها فوراً إلى كلمات:

ـ هل تحدثت إلى جويس بالأمر الذي قد يثير اهتمامها خاصة وأنها تحب الصغار مهما كانوا. لماذا لا تحادثينها الآن فقد تستطيع اقتراح شيء ما.

ـ عظيم، فكرة جيدة سأحدثها. أتأذنين لي يا ترودي؟...

ما إن أدارت فيثيان ظهرها حتى استدارت ترودي نحو نيل ستينال فتشابكت نظراتهما. وكان هو قد تحرّك في اللحظة نفسها تجاهها، حاملاً كأساً من الشراب كان قد أخذه من الخادم الذي مرّ قربه ثم دنا منها وقدم الكأس لها بخفة قائلاً:

ـ لا بد أنك بعد كل هذه الساعات من الثرثرة تشعرين بالعطش.

كان يتكلم وهو يحاول أن يضفي بعض السحر على كلامه لكن ذلك لم يخدعها فقد كانت عيناه السوداوان ترقبانها، تقيّمانها، تتقصيّان المعلومات بسبر أغوارها.

ـ يا لحكمتك سيد ستينال.

ـ ربما تفضلين أن أدعوك بالسيدة شيرمان.. لعلك ستكونين أفضل حالاً بهذا الاسم.

نظرت إليه بعداء وهي تفكر بأن عليها أن تطلب من أختها عدم بوح أسرارها أمام «الأعداء» وهي طبعاً لن تذكر لفظة أعداء أمام جويس المولعة بعض الشيء بنيل. قالت له بجفاء:

ـ لم أعد متزوجة.

فسألها وهو يظهر الاهتمام المشفق!.

ـ ألم ينجح الأمر؟.

ـ هذا قول يساء فهمه. فكرة الزواج كانت رائعة. ولكن ما حدث بعده كان المشكلة.. ربما هذا سيكون درساً مفيداً إن أخذته بعين الاعتبار سيد ستينال.

لوى فمه بسخرية:

ـ لا بد أن زواجك كان في غاية السوء وأعتقد أن الخطأ خطأه.

3tt3.net

فردت بحدة قائلة:

ـ هذا أمر شخصي!.

النظرة الحادة المنبعثة من عينيه السوداوين بدت لها واضحة:

ـ أنت تكرهينني لسبب ما.

التوى فم ترودي وهي تجيب:

ـ قولك ليس صحيحاً.

ـ بماذا تشعرين تحديداً تجاهي؟

ارتفع ذقنها في تحدٍ ضاربة بالأدب والكياسة عرض الحائط:

ـ الكراهية أمر عادل تقريباً.

ولم يجفله قولها.

ـ أخبريني لماذا.

ـ لو فعلت لانفجرت سيد ستينال.

عيناها الخضراوان برقتا عند قولها هذا أما صوتها فقد ازداد قسوة عندما قالت:

ـ أنا لا أبالي إن سببت لك فضيحة أنت تستحقها ولكنني عكسك، آخذُ بعين الاعتبار مشاعر الناس لا سيما المقربين مني.

وابتسم، وكأنه تمساح أتم وجبة دسمة.

ـ هذا شعوري تماماً. ربما تفضلين الخروج إلى الحديقة؟.

أنذرتها غريزتها وحذرتها من خطر الرجال أمثاله الذين يجب زجّهم في قفص محكم الاقفال مكتوب عليه «يمنع الاقتراب من الحيوانات» ومع ذلك فالحديقة ستكون بعيدة عن الأنظار نسبياً في مثل هذه الساعة، وفي وقت متقدم آخر قد يكون الأمر مختلفاً، ولكنها الآن قد تناسب مقصدها. وتجاهلت إشارات الخطر التي كان يضج بها جسدها، لأن نيل لن يقدر على فعل شيء خاصة

وأنها لن تفسح له المجال أبداً.

ـ هذا ما أريده أيضاً وكم يسرني أن أريك الأزهار الحمراء بلون الدم.

كانت أمها تفخر كثيراً بحديقتها ولم يكن يخفى على ترودي أي شيء منها لأنها تقضي أوقاتاً طويلة وهي تسمي كل وردة باسمها راضية هانئة.

أعادت عيناه التحدي المتأجج لها:

ـ أعتقد أني أفوقك رغبة في الخروج. لذا فلنخرج حالاً.

طوقت يده خصرها، فصرخت به:

ـ لا تلمسني هكذا! لا هنا ولا في أي مكان آخر!.

ارتفع حاجبه الأسود أكثر عندما لاحظ البريق الغاضب في عينيها:

ـ وهل الأمر خطير إلى هذا الحد؟.

أجابته من بين أسنانها:

ـ أجل.

فأنزل يده عنها، وسارا معاً، بود مزيّف نحو المواجهة المفتوحة التي اتفقا عليها. ولم يحاول أحد أن يعترض سبيلهما وهما يشقان الطريق عبر الجموع تاركين الحفلة وراءهما دون أن يطرح أي من الحاضرين سؤالاً.

ما إن ابتعدت عنهما الأضواء، وأخذت تزداد العتمة في الحديقة، حتى شعرت بوجوده أكثر فأكثر فاعترفت على مضض منها بالإشارات التي كان يبعثها جسدها طوال السهرة، لقد كان بينهما قوة تجذب أحدهما إلى الآخر. لكن زواجها الفاشل صحح مسار مشاعرها، فقد تعلمت أن الانجذاب قد يحدث بين رجل

3tt3.net

وامرأة وهو شعور قد يدمّر صاحبه إن لم يحسن الفكاك منه وما تشعر به تجاهه غدا أكثر إزعاجاً هنا في عتمة الليل وهي وحدها معه.

ـ لماذا لا تعترفين أن عداءك نابع من الخطر الذي تشعرين بأنه قد يأتيك مني.

توقفت عن السير وحدقت فيه بسخرية:

ـ وما الخطر الذي أخشاه منك سيد ستينال؟.

واجهها بكل ثقة وعنجهية:

ـ أنت منجذبة إلي. وهذا لا يعجبك. ولا أدري إن كان ذلك بسبب زواجك الفاشل أم الإحساس بالخيانة تجاه أختك بل لعله مزيج منهما في آن لأن الكراهية لا تنبع إلا كرد فعل دفاعي ضد شيء لا تستطيعين السيطرة عليه.

ـ أنت مخطىء يا سيدي لأن الكراهية تلهبها التصرفات، تصرفاتك أنت سيد ستينال. واعلم أني كرهتك قبل أن تقع عيناي عليك، وليس بسبب هذا الهراء الفلسفي الذي تكلمت عنه بإسهاب منذ قليل!.

ـ إذن أضيئي دربي المظلم... فأنت تبدين وأنت غاضبة أكثر جمالاً، إذ يجعلك الغضب تظهرين مفعمة بالحيوية والحركة والإشراق الملون الذي يبزّ لون أية وردة بل يجعل من ضوئها نقطة في بحر إشراقك.

ـ أنت لا تأخذ الأمر على محمل الجد!.

صدمتها تصرفاته، وكدرها الإطراء الذي وجدته غير مناسب، نظراً لعلاقته مع جويس.. وامتدت يده ليمررها فوق خدها الملتهب.. ثم سألها:

ـ وما الذي يدعوني إلى التحدث بجد وصرامة.

عضت ترودي على شفتها، فعندما حضّرت لهذا اللقاء في ذهنها، تصورت عدة أشياء، ولكن لم تتصور بأن لا يأخذ كلامها على محمل الجد... وهذه اللمسة لخدها سرت في جسدها سرياناً واقترابه منها بعث فيها اضطراباً في هدوء هذا الليل. تراجعت نصف خطوة إلى الوراء، لتبعد أي اتصال جسدي بينهما ولتستطيع عيناها احتواءه.

أدركت أن التهديد الذي فكرت في إلقائه في وجهه لن يجدي نفعاً. بل سيقابله بالضحك والهزء منها. أما ما تنويه من أفعال فعليها المضي قدُماً فيها.

كانت قد وصلت إلى نقطة اللا رجوع مرتين في حياتها الأولى يوم وفاة والدتها والثانية يوم طلاقها وها هي المرة الثالثة تطلب منها اتخاذ القرار.

تلاشى الغضب المتأجج في داخلها، ليحل مكانه التصميم الحديدي، فأقسمت على جعله يدفع الثمن غالياً وأمامها الآن أمر يمكن تسويته لأنه أعطاها الضوء لتختبر صدق مشاعره نحو جويس، ومع أنها لن تستطيع فعل شيء، إلا أنها أرادت أن تعرف ما إذا كان حكمها صحيحاً.

بدأت الحديث بتهذيب:

ـ لا يجب أن تنظر إلى امرأة أخرى... بل لا يجب عليك أن تنجذب...

ـ حتى الوقت الذي أتزوج فيه، سأنظر إلى أية امرأة تعجبني. وبما أنني لم أرتبط بعد مع أختك، ولم ترتبط هي بي. فأنا في وضع يخولني انتقاء أية وردة أشاء، آنسة براند. ولن يكون نذير

3tt3.net

خير أن أنتقي وردة مسيّجة بحفنة من الأشواك المؤذية.

توقف قليلاً عن الكلام لينغرس قوله في كيانها غرساً ثم تابع:

ـ ألاحظ أن نفورك اللا منطقي مني قد يكون عائقاً أمام أية علاقة بيننا بل بيني وبين جويس أيضاً لذا أريد إعادة التفكير بالأمر.

إنه كالثلج في برودته، كالآلة في تفكيره لذا تعتقد أن الحب أو العاطفة لن تؤثر على حكمه لأنه لا يأبه إلا بنفسه أما مشاعر جويس فهي آخر ما يكترث به. إنه أكثر الرجال عجرفة إذ كيف يفكّر في انتقاء المرأة التي يريد بكل هذه الوقاحة. إن كانت أختها تملك ذرة من العقل لوجب عليها طرده من حياتها إلى غير رجعة.

ارتفعت يداه إلى خصرها فزادت الحركة من مظهر التصميم على وجهها، وهي حركة يعرف كل من يعرف ترودي جيداً أنها تعني المشاكل الكبيرة.

ـ لا علاقة لمشاعري بالموضوع سيد ستينال.. كما سأبيّن لك.

نظر إليها نيل ستينال:

ـ عظيم! سأبعد يداي عنك لئلا تزعجاك ثانية.

وضع يديه خلف ظهره بطريقة توحي بصبر لا يقصد منه سوى الإساءة.

ـ والآن.. أخبريني ما هو الأمر.

ساعدها سؤاله هذا على تركيز انتباهها على ما تريد وإذ بأفكارها تغدو كرصاصة غاضبة خرجت من بين شفتيها سؤالاً:

ـ كم من الناس طردتهم من عملهم بعد استيلائك على

الشركة؟

وعمت الدهشة وجهه، ولكنه أجاب ببطء، وباهتمام مدروس:

ـ لست متأكداً، لأن لدي من يهتم بهذه الأمور لكني أعتقد أنهم بين العشرين والثلاثين وهو عدد طبيعي في شركة لها هذا الحجم.

وصل غضب ترودي إلى ذروته.

ـ أنت لا تعبأ أبداً، لأنهم ليسوا بالنسبة لك أشخاصاً لهم احتياجاتهم وإرادتهم ومشاعرهم..

وقاطعها ببرود:

ـ عندما أستولي على شركة ما آنسة براند، أهدف إلى إنجاحها خاصة وأنني أحمل تبعة تجاه حملة الأسهم. لذا فما يحقق غرضي عليّ إتمامه مهما كلفني الأمر وهو أمر يشبه العمليات الجراحية المؤلمة فاستئصال عضو ميت خير من موت صاحبه.

ـ وهل تحب أن تُعتبر عضواً ميتاً؟ أراهن أنك لن تحب هذا فأنت إنسان بلا إحساس لذا لا يهمك الناس الذين طردتهم وكأنهم أعضاء ميتة.

اشتدت عضلات فكه وكأنه يحاول جاهداً السيطرة على أعصابه.

ـ لماذا لا تبوحين بمشكلتك لأنظر إن كان بوسعي فعل شيء؟

أحست ترودي بلفحة الانتصار.

ـ ثمة سبعة وعشرون شخصاً دون وظيفة بسببك. وأعتقد أنك

3tt3.net

لا تعرف عنهم شيئاً.

- وهذا يعني أن سبعة وعشرين آخرين قد حلوا مكانهم في الوظائف فماذا تقترحين؟ أتريدين أن أطرد موظفين أكفاء ليعود الموظفون القدامى إلى أماكنهم؟ بل كيف أبرّر عملاً كهذا؟.

تهشم انتصار ترودي فوق صخرة الإحباط:

- لماذا طردتهم في الأساس؟ إنهم ليسوا أعضاء ميتة! إنهم عمال جيدون يُعتمد عليهم. لقد مضى على وجود كل واحد منهم سنوات. ولن تجد عمالاً أكثر إخلاصاً من السيد تومسون مثلاً.. و...

- ومن هو السيد تومسون؟.

- أرأيت! إنك لا تعرفهم! بل أنت لم تنظر حتى لترى ما أنت فاعل بهم. أنت تدمر حياة الآخرين و...

انفجر صائحاً وقد امتدت يداه من خلف ظهره لتمسكا بكتفيها:

- توقفي قليلاً الآن!.

فجأة نسيت ترودي كل ما كانت تقوله. فقد أصبح أمامها شيء رائع هو عرض صدره، إذ بدا لها بسحر ساحر أطول قامة وملامح وجهه أكثر قسوة والطريقة التي تضغط فيها أصابعه على كتفيها أكثر تأثيراً على نبضات قلبها الذي راح يخفق بجنون داخل بنيان صدرها.

- أنا لا أدير مركز إحسان إنما العمل قد يموت إن لم نجدّد له دمه عبر السنين، وليس أمامي وسيلة أخرى لأن أباك كان يدير أعماله وكأنها أعمال عائلية وذلك لا يتلاءم مع حاجات شبكة النقل. كاد عمله يموت بسبب تلك السياسة لذا وجدت نفسي أمام

أمر صعب فإما أن أترك كل شيء على حاله ليندثر بعد وقت قصير أو أن أغيّر البرامج وأدخل الكمبيوتر للتوسع والنشاط وهذا يقتضي تغيير الموظفين أحببت ذلك أم لا، آنسة براند، لقد استبقينا كل السائقين...

صاحت في وجهه ثائرة:

- كان يمكنك إعادة تدريب موظفينا دون أن ترميهم خارجاً.

- كان تصرفي طبيعياً لأنّ إعادة التدريب تستغرق وقتاً طويلاً هذا إن لم نأخذ بعين الاعتبار قدرتهم على استيعاب برنامج التدريب فكوني عاقلة.

أجابها بنفاذ صبر وقد غرقت يداه أكثر في كتفيها، تتملكه رغبة قوية في أن يهزّها. لكنها أجابته أيضاً:

- القول أسهل من الواقع. فرزقك لم يمسّ أو يهدّد فأنت آمن مؤمن في برجك العاجي!.

- وأنت كذلك! لأنك ستبقين في وظيفتك الآن ودائماً وسيسرني عملك لنا..

- حسناً هذا سرور لن تصيبه بعد الآن لأنني سأستقيل من العمل. أما الآن فأبعد عني يديك يا نيل ستينال.

لمعت عيناه بتوتر ملحوظ فتملك ترودي انطباعاً قوياً بأنه منقسم بين فكرتين، فإما أن يخنقها أو أن يقبلها. تراقص العنف فترة وجيزة بينهما، معقداً أعصابها مضاعفاً نبضات قلبها المجنونة. وعندما استجاب أخيراً لمطلبها، ابتعد عنها بضع خطوات.

فسارعت ترودي إلى التقاط أنفاس كانت بحاجة إليها لأنها كانت تحس بضعف يُقلّص معدتها، وبرأيها يأخذ منحىً آخر

3tt3.net

تجاهه. لكن يجب أن تقاوم تأثيره عليها مهما تطلب ذلك من جهد. أعطتها معرفتها بأنها قد ضعضعت سيطرته على نفسه شعوراً بالبهجة والنصر. وعندما استدار إليها ليكمل حديثهما، كان وجهه خالياً من أي تعبير ينم عن أفكاره، لكنها لاحظت أن يديه قابضتين بإحكام عندما قال:

ـ لقد نصّت الاتفاقية مع رونالد على أن تبقي أنت خاصة في الشركة آنسة براند. وأنا أحترم الاتفاقيات دائماً.

ارتفع ذقنها بكبرياء وتحدّ:

ـ لقد أساء والدي فهم موقفي من المسألة. لقد ظن أنّ الوظيفة ترضيني. ولكن ما كنت أريده هو إدارة الشركة بعده، وهو أمر قادرة على القيام به على خير وجه. لكنني فشلت في إقناعه بأنني لن أتزوج ثانية، فهو متمسك بأفكاره المتزمتة الطراز...

قاطعها نيل ستينال بارتياح:

ـ إذاً لقد توصلنا أخيراً إلى صلب الموضوع وعرفت سبب عدائك لي! فأنا نلتُ ما تريدينه.

التمعت عيناها غضباً:

ـ لقد أخطأت ثانية فأبي حصل على ما يريد وهذا هو المهم. أنا ما استأت إلا لأنه لم يمنحني ثقته وذلك شأنه، أما سبب عدائي الأساسي فهو طردُك لموظفينا.

عبس بعد أن فهم سبب حكمها عليه وسألها مستفسراً:

ـ وهل هذا يهمك حقاً؟.

ـ أجل! وسأتخذ لحل هذه المشكلة وسائلي الخاصة! أما وظيفتي فقد استقلت منها وبذلك لن أعمل تحت إمرتك. إنني أنتظر نهار الاثنين على أحر من الجمر لتصبح استقالتي رسمية.

ـ وماذا تنوين فعله؟.

ـ وهل تخبر النّاس عادة عن مشاريعك؟.

ـ لا.

ـ إذاً، فلن أقول لك ما سأفعله لكن ما هو أكيد أنني سأسعى للقيام بشيء لأولئك المساكين الذين رميتهم في سلة المهملات، وأعدك أنك ستدفع ثمن فعلتك غالياً فلدي أصدقاء في مراكز عالية. وبطريقة أو بأخرى سأذيقك معنى الألم.

تمدد صدره وهو يأخذ نفساً عميقاً بينما قبضة يده تشتد أكثر فأكثر ثم يرفعها محاولاً الاسترخاء قليلاً.

ـ خذي المسألة من وجهة نظري تجدين أن لا ضرورة لما تعتقدينه. سوف نوسّع العمل الحالي وبذلك تستجدّ وظائف عديدة.

ـ هذه لن تكون ترضية للناس الذين لا يملكون وظائف الآن بسببك.

تحركت يده بضيق:

ـ لست إلهاً لأرضي الناس جميعهم ففي هذه الحياة الخسارة والربح.

ـ حسناً، أنا أقف إلى جانب الخاسرين! وسأكافح من أجلهم، وأجل حقوقهم، أتعلم أن مشكلتك في أنك عقل آلي يصدر القرارات بناء على...

قاطعها قائلاً:

ـ آنسة براند.. هذا يكفي.. تخلي عن الموضوع، ولنسوِ المسألة بطريقة حضارية.. فلن تستطيعي كسب...

قاطعته بغضب:

3tt3.net

ـ لم أقل أنني سأكسب إنما قلت انني سأحاربك.

ـ الأفضل أن نتفاوض هذا إن كنت أهلاً للتفاوض.

أقفلت ترودي فمها لأنها لا تثق به خاصة بعد ما عرفته عنه، ولكن إذا كان مستعداً لتقديم التنازلات، فلن تتخلى عن هذا الأمل في سبيل الآخرين.

فتح ذراعيه وكأنه يستعطفها:

ـ أريد صداقتك...

أجابته والريبة تطل من عينيها:

ـ سيد ستينال.. أنا أقرأ أفكارك وكأنها كتاب مفتوح. فليست غايتك من هذا القول إلا تيسير أمورك.

راح يتأملها بصمت لحظات معدودة ثم أخذت عيناه، بينما ابتسامة ساحرة تعلو شفتيه، تنتقلان صعوداً من أخمص قدميها إلى قمة رأسها وكأنه يريد احتواء وحفظ كل تفاصيل جسدها.

ـ أعتقد أنك ستكونين مصدر إزعاج لحياتي.

كان غضب ترودي مشتعلاً بسبب قوله المهين ونظراته المشينة.

ـ أعدك بأن يتضاعف انزعاجك قريباً.

ـ سأكون في مكاتب الشركة يوم الاثنين. تعالي إلي وستتحدث عما يمكن فعله.

صرّت ترودي على أسنانها لتستعيد السيطرة على ذاتها فالتوسل لن يجدي نفعاً معه كما أنه ليس الطريقة التي تريده للمساومة.

ـ تعال إليّ يوم الإثنين وقل لي ما تستطيع أن تفعل.

ضاقت عيناه:

ـ إن أتيت أتعدلين عن الاستقالة؟.

ـ لقد استقلت فعلاً وليس أمامي سوى إنهاء بعض الأمور.

ـ أنت امرأة شابة حقودة جداً يا آنسة.

ـ وأنت رجل متوحش.

انفرج وجهه بابتسامة عريضة سحرت ترودي، وجعلتها تدرك سبب انجذاب جويس إليه. فالذكاء المغناطيسي لهاتين العينين السوداوين لم يكن أكثر من وسيلة تنويم مغناطيسي لسحر هذه الابتسامة. قال لها وفي صوته توقع مسبق ومزعج لما سيحدث:

ـ لقد أوضحت وجهة نظرك، فلندع الأمر الآن حتى يوم الاثنين! أمّا الآن والليل في هدأته فأريني الورود التي وعدتني برؤيتها.

أحست إحساساً عميقاً يدفعها إلى عدم الوثوق بنيل الذي كان على حق في قوله لأنها فعلاً أنهت ما نوت قوله، لكن حدسها ينذرها من البقاء معه في الحديقة ولكن التراجع أيضاً غير مقبول في هذه الحالة. فهو أطلق التحدي عالياً وهي ستبرهن له أنها خصم ندٌ له، فرغم ارتيابها بنواياه إلا أنها ستكمل اللعبة معه حتى النهاية وهكذا راحت تعرفه إلى الورود المصطفة وسط تعليقات إعجاب تخرج من فمه دون أن تزعجها، ولكن عينيه كانتا تلتمعان ببعض السرور الخفي الذي أوضح لها أكثر من الكلمات بأنه سيحاول استغلال ما حدث بينهما إلى صالحه. تسمية «كومبيوتر» مناسبة له تماماً، لأنه بارد، وشيطان آلي! ولعل الابتسامة الساحرة السريعة التي يمتلكها هي الأكثر شرًا في ترسانة سلاحه!.

أحست ترودي بالراحة أكثر من الحرج، عندما التقيا أخيراً بجويس وجهاً لوجه وهي تبرز من خلف تعريش خشبي يحمل

3tt3.net

شجرة ورد متسلقة. يرافقها رجل آخر وذراعاهما متشابكان، واستغلت ترودي هذه المناسبة لتفترق عن نيل ستينال متجاهلة الانزعاج الذي بدا على وجه أختها عند رؤيتهما معاً ثم طلبت منها أن تعرفها على رفيقها الذي شدته معها إلى الحفلة تاركة بذلك لجويس مهمة متابعة تعريف نيل ستينال إلى ما تبقى من الورود في الحديقة.

إحساسها بأن تلك العينين السودوان تخترقان ظهرها جعلها تختال تيهاً بنفسها التي أحبطت ألاعيب نيل ستينال، كما أنها ستكون عند لقائهما يوم الاثنين أكثر من جاهزة لأي شيء قد يفعله أو يقوله. وستسعى إلى أن يصبح يوم الاثنين محفوراً بحروف حمراء بارزة في يوميات حياته!.

أما ابتسامته تلك فلن تبقى على وجهه بعد أن تمزقه بل لن تطل من عينيه نظرة التسلية تلك بعد ذلك.

* * *

٣ ـ التحدي الكبير

بينما كانت ترودي تصطحب مرافق جويس إلى الحفلة، أقسمت لنفسها أن لا تنظر إلى نيل ستينال ثانية هذه الليلة وأن لا تعطيه فرصة الرضى هذه. قد يكون رجلاً جذاباً، لكنها ستعمل على ألا تنجذب إليه لئلا ترضي غروره.

غداً، ستبدأ تنظيم الأحداث بعيداً عن التهديد الذي لا يجدي نفعاً مع نيل ستينال، معتمدة على خطط أكثر فعالية. يوم الاثنين قد تستطيع...

ـ من تظنين نفسك بحق الجحيم؟.

نظرت ترودي دهشة إلى رفيقها الذي بدا أن شيئاً ما قد أزعجه فكان أن أسرعت لتدعم روحه المعنوية بسرعة عبر ردها المفعم بالمرح وعيناها مشرقتان بالبهجة، وفمها يمازحه ضاحكاً:

ـ أنا الشوكة في الوردة... أنا «الجوكر» في ورق اللعب... أنا القطة بين الحمام... والشبح في الأوبرا... أوه... أنا أشياء رائعة كثيرة لم أكن أعلم أنها فيَّ من قبل.

لم يبتسم، ومع ذلك بقيت تشعر بالتفوق بعد أن أعطاها

3tt3.net

اعتراف نيل ستينال برغبته في مصادقتها دفعاً قوياً، هذه الصداقة التي عليه أن يقوم بالكثير لينالها وقد بدأ بالخطوة الأولى في الحديقة عندما لعب دور الظريف! من يظن أنه يخدع بمظهره؟.

أجابها رفيقها بقوله:

ـ وصفت نفسك وصفاً عادلاً. إلى أن وصلت إلى شبح الأوبرا، فأنا أجده شخصية تثير الشفقة.

ـ وهل هناك شيء خاطىء؟.

كانت تحاول جهدها أن تركز أفكارها لأنها رأته قد انزعج إلى حد كبير. فأجابها:

ـ أجل، وشكراً لتدخلك غير المرغوب فيه! فحتى وصولك كان كل شيء على ما يرام، لقد كنت في حديقة الورود، وكنت مع جويس...

ـ أنا آسفة...

ـ يجب أن تكوني آسفة! وأتمنى مستقبلاً أن تلزمي جانب الرفيق الذي اخترته.

ـ لقد اعتذرت فعلاً وفي الحقيقة أن نيل ستينال ليس الرفيق الذي اخترته بل هو صديق جويس الذي كان علي أن أدعه لها للتباحث في شؤونهما الخاصة.

ـ شؤون خاصة؟!.

ـ نعم تلك التي تكون بين معجبَين. فجويس خير مرشح للزواج منه.

ـ سيتزوجان؟.

ـ حسناً. لم يحدث ذلك إلى الآن.

كانت تتكلم وفي أعماقها رجاء بأن لا يحدث ذلك أبداً.

في هذه اللحظة طلبها للرقص، وهكذا أجّلت تفكيرها حتى تنتهي الحفلة.

عندما أصبحت في غرفة نومها، بعد رحيل المدعوين أخذت تفكر بما عليها فعله فأمامها تبعاتٌ ثقال وهي السعي إلى توظيف المطرودين من جديد، ولعلها بمعونة أصدقائها تحصل على ما تريد.

أمّا الآن فعليها إيجاد مكتب جديد لأنها لن تعمل في الشركة ولن يكون من الإنصاف استخدام منزل والدها لهذا الغرض بل عليها العناية به بعد أن تقاعد لا زيادة أعبائه. لكن إيجاد مكتب يقتضي مالاً. فيا ترى ما هو المبلغ المطلوب؟ وهل سيدر عليها عملها الجديد ربحاً. كانت ترودي تفكر بفتح مكتب للتوظيف وبذلك تصيب عصفورين بحجر واحد. أولاً تعيد العمال المساكين إلى أعمالهم. ثانياً تؤمن عبر هذا العمل أرباحاً وفيرة، لأن مكاتب التوظيف في البلد ناشطة وأرباحها جيدة من العمولة التي تأخذها من أرباب العمل الذين يسعون للحصول على الموظفين والعمال وقد آن لها أن تثبت جدارتها في مضمار العمل دون أن تقترض شيئاً من والدها. وستسعى إلى تأمين رأسمال لها وذلك باستخدام المال الذي أودعته لها أمها في المصرف، هذا المال الذي قررت ألا تستخدمه إلا عند الحاجة وها هو وقت الحاجة قد أزف. سمعت صوت جويس يهمس خارج باب غرفة نومها:

ـ ترودي، أنت مستيقظة؟.

ـ أجل.. ادخلي!.

3tt3.net

ـ أردت أن أستوضح رأيك بنيل بعد أن قابلته؟.

ـ ما زال رأيي هو مع فارق قليل هو اعترافي بالجاذبية الـ مغناطيسية التي يملكها. أهذا ما تريدين سماعه؟.

ضحكت جويس ضحكة خفيفة:

ـ إنه رجل كامل يسعى إلى نيل ما يريد وقد سألني كثيراً عنك يا ترودي.

ـ هذا واجبه تجاه شقيقة زوجته المقبلة... لكني أريدك ألا تجيبي عن أسئلته لأنني أفضل ألا يعرف عني الكثير.

ـ ما يعجبني في نيل أنه لا يسعى لتحقيق رغباته كما هو الحال مع الرجال الآخرين، فهو يتعامل معي بصدق وإخلاص، دون أن يضغط أو يلحّ في مطالبه، وأنا لا أحتاج إلى إقامة علاقة ما معه حتى أعرف مشاعره تجاهي.

ـ لكني أجده بارداً جداً ولا أرى ما يدعوك إلى الاعتقاد بأنه يريدك زوجة.

ـ أقواله هي التي تؤكد اعتقادي. يبدو لي جاداً يا ترودي.

ـ أتعرفين ذلك الشاب الذي كان معك في حديقة الورود جيداً؟

ـ إنه رودني جوردن، وهو أحد الأغنياء المشهورين ألا تعرفينه يا عزيزتي؟.

ـ أظن أنه يهواك لأنه غضب غضباً شديداً عندما أبعدته عنك.

برقت عينا ترودي فرحاً عندما سمعت قول أختها.

ـ لكنني لم ألاحظ امتعاضه.

ـ أنا أؤكد لك أنه قد غضب خاصة عندما قلت له إنك على وشك الزواج من نيل. أنصحك بأن تعامليه بلطف لأنني وجدته

يحمل شعلة ما تجاهك.

لاحت ابتسامة فوق شفتي جويس:

ـ لم يُبدِ لي سوى الود.

ـ عاودي التفكير في الأمر. لقد كان يغلي غضباً هذه الليلة.

قالت جويس وقد حول الدفء عينيها إلى اللون الذهبي.

ـ هو يحب الأطفال كثيراً.

ـ هذا رائع.

ردت جويس والابتسامة لا تفارق وجهها:

ـ أجل.. شكراً لاهتمامك بإنجاح الحفلة. تصبحين على خير.

ـ أحلام سعيدة.

سوت ترودي الوسائد استعداداً للنوم، مُرخية كل عضلة في جسدها ابتداء من أطراف قدميها إلى قمة رأسها، بعد ذلك غطت في نوم عميق كإنسان لا يرهق كاهله شيء.

كان من المفترض أن يكون يوم الأحد يوم راحة، لكنه كان لترودي يوم المسؤوليات الكبيرة فعليها استئجار مكتب لتنظم أعمالها ولتبرهن لنيل ستينال جديتها في المسعى.

كانت مديرة المنزل المقيمة معهم، السيد يوركبيشر تصب قهوة الصباح لرونالد الذي جلس على المائدة وصحف الأحد منتشرة حوله، وكانت ترودي أيضاً تقرأ جريدة الصباح بانتظار فطورها، واضعة علامات على الإعلانات المتعلقة ببيع أو تأجير المكاتب وسألها رونالد بحيرة:

ـ لماذا تضعين هذه الإشارات يا ترودي؟.

ـ أحتاج إلى مكتب لأؤسس عملاً خاصاً لي

3tt3.net

سألها بمرح ودعابة:

ـ لماذا؟.

ـ لأنني اتخذت قراراً بإعالة نفسي منذ الآن فصاعداً دون طلب العون من أحد.

ـ آه...

أحضرت لها السيدة يوركبيشر طبق البيض المخفوق واللحم. فشكرتها ترودي وهي تفكر مرة أخرى أن عليها أن تتعلم الطبخ. فهذا الأمر كان أحد أزعج المشكلات التي حصلت لها في زواجها. ولكن من ناحية أخرى، وبما أنها لا تنوي الزواج ثانية فلا فائدة من تعلم الطبخ طالما تجيده السيدة يوركبيشر جيداً. وما أن أنهت الطعام حتى حملت الجرائد من أمامها ووقفت استعداداً لمغادرة الطاولة. ناداها والدها وابتسم لها بقلق عندما استدارت إليه.

ـ ترودي، أطلب منك أن تلجئي إلي عند الحاجة فأنت رغم نشاطك وإخلاصك في العمل فاشلة في الأمور المالية.

ـ سأتعلم يا أبي، وستعترف قريباً بنجاحي.

رد عليها دون اقتناع:

ـ نعم ربما، أتمنى لك التوفيق في إيجاد المكتب. أخبريني بالأمور التي ستستجد.

بعد خمس ساعات عادت ترودي إلى المنزل منهوكة القوى، وقد صدمها واقع الحياة المرير الذي يظهر بوضوح عندما يكون الإنسان شحيح اليد. لكنها رغم الصعاب المالية استأجرت مكتباً وهو عبارة عن غرفة حقيرة في منطقة تبعث الكآبة في النفس، وقد كلفتها ثمناً باهظاً رغم حقارة الموقع، لكن مقارنة مع الثمن الذي

طُلب للمكاتب الأخرى بدا لها المبلغ عادلاً.

كانت الغرفة كمكتب لها لابأس بها، خاصة وأنها وحدها ستستخدمها وهي لن تحتاج سوى هاتف لتجري الاتصالات اللازمة وكان الوكيل قد وعدها بإيصال الخط لها غداً.

سألها والدها خلال تناول العشاء:

ـ هل وجدت مكتباً يا ترودي؟.

ـ أجل، إنه قرب محطة القطارات المركزية، خارج المدينة وهذا يسهل على الناس الوصول إليه.

سألتها جويس بفضول:

ـ ما حاجتك إلى مكتب؟.

أجابها والدها:

ـ إنها ستبدأ بعمل خاص بها.

ـ من أي نوع؟.

أجابتها ترودي:

ـ إنه مكتب للتوظيف وسأسعى إلى توسيع نطاق عملي بعد فترة.

هزت جويس رأسها دون اقتناع:

ـ ولماذا؟.

ـ لأنني أريد هذا.

هذا الرد أوقف أي سؤال آخر. لأن أباها وجويس يعلمان يقيناً أن شيئاً لن يوقف ما تريده وهي ما قامت بذلك إلا انتقاداً لقرار والدها الذي باع الشركة. أما بالنسبة لنيل ستيال فسوف تلقنه درساً أو درسين غداً.

كي تمهد الطريق لأول درس، لم تذهب صباح الاثنين إلى

3tt3.net

مكاتب الشركة، بل إلى مكتبها مباشرة الذي وصلته في الوقت المناسب وذلك أنها وجدت عامل الهاتف في المكتب يوصل لها الخط. لما رآها حاملة شتلات خضراء من المنزل أبدى إعجابه بها متمنياً لها التوفيق في مشروعها الجديد.

أخرجت دفتر ملاحظاتها وقلمها من حقيبتها، وبدأت الاتصال بالشركة فتحدثت مع الموظفين الذين يتابعون عملهم خلال فترة الإنذار فأعطتهم عنوان المكتب ثم اتفقت على أن يأتوا إليها لتؤمن لهم وظائف جيدة في أقرب فرصة ممكنة. وكان خلال ذلك الاتصال قد وعدها أحد العمال بنقل الكرسي والطاولة اللذين اشتراهما والدها خصيصاً لها للشركة. وأنهت الجولة الأولى من المكالمات بحديث مطول مع سكرتيرة نيل ستينال، تاركة اسمها، ورقم هاتفها، وعنوان مكتبها، إذا ما رغب في الاتصال.

ثم اتصلت بطبيب تعرفه يعمل في مستشفى كامبردون فراحت تسأله بعض الأسئلة التي قد تساعدها على التعاطي مع الناس.

وصلت الطاولة والكرسي، وبدأت ترودي تشعر بعجلة العمل تتسارع وبعد وجبة سريعة حضرتها لها السيدة يوركبيشر، عادت إلى الاتصال بأناس يعملون في مجال النقليات بحثاً عن وظائف متوفرة، كان كل شخص قد تحدثت إليه شخصية مستقلة لذا توجب عليها التعامل والتحدث مع كل منهم بأسلوب مختلف، مؤكدة للموظفين النافذين الولاء والإخلاص اللذين يهمهم أمرهما بشدة، مركزة على أهمية العلاقات الطويلة الأمد.

رأت ترودي أن من صميم عملها أن تجد ما يحتاجونه، ثم تمدهم بالشخص المناسب للوظيفة المناسبة. فكان أن دونت أمامها كل اتصال كان يعد بالنفع، ثم تابعت العمل، متصلة بكل

شخص قد يساعدها، حتى محررة مقالات الإشاعات، التي تبادلت معها حديثاً هاماً جداً.

كان رنين الهاتف لا يتوقف فما أن تنتهي من اتصال حتى تطلب آخر وهكذا دواليك، حتى إذا ما انتصف النهار كانت قد اتصلت بجميع الموظفين المطرودين وكان اتصالها الأخير بالسيد تومسون الذي ما إن أتمت الحديث معه حتى دق باب مكتبها، فصاحت وهي تدون موعد المقابلة مع السيد تومسون المتشائم.

- ادخل..

اعتبرت ترودي موافقة السيد تومسون أكبر تحدٍ لها. لكن دخول الزائر العاصف جعلها تبدّل رأيها لأن التحدي الكبير فعلاً هو ماثل الآن أمامها بكل أنَفَة.

* * *

3tt3.net

٤ ـ ٩٢ بالمئة فقط!

قبل أن يأتي نبل لم يعتقد لحظة واحدة أنه سيكون لها تلك القوة القادرة على أن تضعضعه أو تهزه ثانية. فذلك التأثير كان شيئاً من الماضي اعتقد أنه ولّى ولن يعود. لكن الواقع كان غير ذلك تماماً لأنها ما إن رفعت نظرها إليه حتى ذاب كل سخطه وقلة صبره بل لقد نسي تل ما كان يُفترض به أن يفعله.

لم يحسب أنها سترتدي ثوباً قرمزياً يصيبه بالدوار ويحفر بأحرف حمراء وقعه في نفسه حفراً، ولم يحسب أن اللون القرمزي لأزهار «الكاكتوس» الموضوعة على النافذة خلفها ما هي إلا لون يعكس ذبذبات نفسها الفطرية. وهكذا وقف كالميت في مكانه، وقد صدمته ثانية الحيوية الخارقة المنبعثة من هذه المرأة التي تقف أمامه.

عندما نهضت عن الكرسي خلف مكتبها تضاعف إحساسه بعمق قوة جاذبيتها الأنثوية التي زعزعت كل إيمانه الراسخ بأن الرجال الذين يسمحون لأنفسهم بأن ينجرفوا وراء امرأة هم مجرد أغبياء.

ولم تكن ترودي قد وقفت ترحيباً إنما وقفت لعجزها عن مقاتلة الرجل وهي جالسة ولأن نظرة عينيه جعلتها مضطربة حتى كادت لا تقوى على الجلوس براحة.

لكنها حققت ما تريده إذ دفعته إلى المجيء رغماً عنه وها هي البهجة التي ولّدها مجيئه تكاد تطل من عينيها كما أن المتعة بأذيته تكاد تلوح أيضاً على شفتيها وهي تسأله:

ـ ثمة خدمة سيد ستينال؟.

أشارت إلى الكرسي الوحيد لديها، ثم تابعت:

ـ هل تحب أن تجلس؟.

هزّ نفسه بقوة ليصحو من تأثيرها ثُمَّ أدار نظره إلى الكرسي، فالطاولة وعيناه تنتقلان ببطء نحو الجدار الرديء لتهبطا بعد ذلك نحو الأرضية المتشققة، وأخيراً عادتا إليها وقد ارتسم على وجهه حاجب شيطاني.

ـ كنت أعتقد أنك ستجدين شيئاً مناسباً أكثر آنسة براند. هل تسمين هذا مكتباً؟.

أحست ترودي بلذع كلماته، فارتفع ذقنها آلياً عالياً مظهرة اللامبالاة:

ـ أحب أن أتسلق السلم درجة، درجة.

ـ هذا ظاهر بالتأكيد!.

التوى فمه بسخرية واضحة. فالتمعت عيناها الخضراوان بنار

3tt3.net

الغضب لكنها مع ذلك تمكنت من المحافظة على هدوء أعصابها ونبرة صوتها.

ـ امنحني بعض الوقت سيد ستينال وسترى ماذا أستطيع أن أفعل بهذا المكتب الذي لن تتعرف عليه بعد أيام معدودة. إذا استثنينا مظهر الغرفة نجد أن موقع المبنى رائع وهو ينبىء بأن يصبح من المباني الهامة وأنا منذ الآن، أفكر في الوقت الذي سأشتريه فيه.

ولتؤكد له ادعاؤها أضافت قائلة:

ـ ألم تخبرك جويس بأني قد تعلمت الكثير عن الأملاك من زوجي الذي كان يعمل في هذا المضمار.

وكان ما قالته صحيحاً فقد تعلمت الكثير من زوجها إنما ليس في مضمار الأملاك، أضافت مبتسمة لتضفي المزيد من التأثير:

ـ لقد تعلمت الكثير من العديد من الناس، بما فيهم أنت.

أطلق في وجهها تلك الضحكة الموجهة رأساً إلى القلب:

ـ من دواعي سروري أن أستطيع مساعدتك مرة أخرى آنسة براند.

بعد ذلك تقدم ليجلس بكل عفوية على زاوية مكتبها مثبتاً إحدى رجليه على الأرض، ملوحاً الأخرى قريباً منها حتى لم تستطع ترودي إلا أن تلاحظ جودة قماش سرواله الذي التفّ حول جسده القوي. أما التأثير الثاني لهذه الحركة فكانت لعينيه اللتين أصبحتا قريبتين منها حتى صعُب عليها إبعاد نظرها عنهما. قال:

ـ في الواقع، هذا ما أتيت أفعله.

قطبت ترودي حاجبيها وهي تجاهد كي تتذكر ما قاله من قبل، كان حدسها ينبئها أن مظاهر السحر هذه تحوي خلفها مظهراً

كاذباً لأفعى سامة تتهيأ للسع، لذا عليها أن تكون أكثر حذراً. ارتفع حاجباها بدهشة:

ـ أنت ترغب في أن تخدمني سيد ستينال؟.

أطلق تلك البسمة المميتة ثانية ليجردها من سلاحها:

ـ لقد درست ما تحدثت عنه ليلة السبت، آنسة براند. فوجدت في كلامك بعض الحقيقة لذلك وخلافاً لعادتي راجعت يوم أمس الملفات الشخصية وأنا مستعد لإرضاء طلباتك والتعويض عن شعورك بالإجحاف تجاههم وسأوظف ستة منهم في شركاتي الأخرى...

ـ أتستطيع هذا؟.

ولم تقدر ترودي أن تكبح دهشتها لأنها لم تتوقع أن يأخذ كلماتها بعين الاعتبار، وفعله هذا يظهر صحة اعتقادها بشأن ظلمه وأضافت برضى:

ـ هذه بداية جيدة.

أجابها وهي تفكر بما ستفيد منه لأغراضها.

ـ والآن، عودي إلى العمل معي، لقد وعدت رونالد، وأريد أن أفي وعدي.

قهقهت ترودي.

ـ هل تعتقد الأمر بهذه السهولة؟ أوه.. لا.. سيد ستينال. أنا سعيدة لأن بمقدورك توظيف ستة أشخاص ممن أهتم لهم. وبالتأكيد أقبل هذه الوظائف باسمهم. لكنني أخشى أن لا يكون هذا كافياً لشراء خضوعي، لأنه ما زال لدي واحد وعشرون خاسراً علي أن أرعى مصالحهم. وتوظيف هؤلاء الستة بداية الحل لا نهايته.

3tt3.net

فقد السحر بعض بريقه، عندما قست عيناه واسودت حدقتاه.

ـ لن تقدري على حل مشاكل الناس أجمعين.

ـ قد يكون هذا صحيحاً. ولكنني سأحاول.

شعرت ترودي بعد أن كشف عن الورقة التي في يده بالثقة بنفسها تتصاعد حتى الذروة، فتناولت دفتر الملاحظات الموضوع على الطاولة. أمسكت قلمها استعداداً للعمل، ثم رفعت حاجبيها وفي عينيها تساؤل.

ـ من هم هؤلاء الستة؟ سوف أشطب أسماءهم من لائحتي، وأوصل لهم الأنباء السارة.

التمعت عيناه بمشاعر مجنونة، شكت ترودي بأن تكون الاحباط!.

ـ إن لم توافقي على العودة فسأغيّر رأيي.

قهقهت ترودي:

ـ لا.. لن تتراجع سيد ستينال، لأن هذا يثبت أن لدي ممسكاً ضدك. وأمثالك لا يحبون الاعتراف بمثل هذه الأشياء، حتى لأنفسهم، أنت تدعي بأنك تسيطر جيداً على كل شيء، وعلى كل شخص من حولك، ولا أحسبك ستتراجع بعد أن أعلنت موافقتك على عودة ستة مطرودين.

التقت عيناها بعينيه، محاولة فرض سيطرتها عليه مؤكدة أن رأيها في موقعه. سألته بثقة لا تتزعزع:

ـ الأسماء أرجوك.

رأت اشتعال الغضب الوحشي في عينيه اللتين توهجتا، ثم تقلصتا، واهتاجتا بمشاعر عنيفة أخرى جعلتها تتذكر تلك اللحظات في حديقة الورود التي بدا فيه نارين إما خنقها أو

تقبيلها حتى يفقدها الوعي. هنا بدأ قلبها يخفق بطريقة غير منتظمة وحنجرتها راحت تجف أكثر وأكثر بينما لم تستطع تحمل التفكير بكيفية تجاوب باقي جسدها معه، لأنها، ومهما سيحدث، وقد يحدث، فقد اتخذت موقفاً ولن تتراجع عنه! إنها مسألة مبدأ وكرامة!.

ضغط على شفتيه وكأنه يصر على أسنانه، ثم أجبر نفسه على الاسترخاء ليدفع كلمانه بطيئة. ابتسم ليسيطر على أعصابه.

ـ عندما يشتري إنسان ما شركة بحاجة إلى الإصلاح والتطوير فيبدل فيها ويغير بحسب مقتضى الحال يتصاعد الاستياء من هنا وهناك يرافقه عناد أرعن بأن الطريقة القديمة في العمل هي أفضل من الجديدة التي يعتبرونها مدمرة. لكن ما يخفى على هؤلاء المعاندين أن غاية أصحاب الشركة السير بها قدماً. فأتمنى أن لا تستمري في عدم تعقلك هذا.

ـ ولكنك لست بحاجة لتعقلي، أليس كذلك سيد ستينال؟.

وتجمّد جسمه كله في مكانه ولم تبق إلا يداه اللتان انقبضتا حتى ابيضتا.

ـ إلام أحتاج أنا برأيك؟ (سألها بهدوء).

أدركت ترودي بذكاء أن عليها التعامل معه الآن بغاية الدقة والحذر، لكن المعلومات التي تعرفها عن نيل ستينال تؤكد أنها تسلك الدرب المستقيم. ارتفع ذقنها بتحد وثقة وهي تواجهه بإجابة تبيّن له دوافعه.

ـ أنت تريد أن تبني صداقة معي.. والله وحده يعلم لماذا...

قاطعها وفمه يتقلص بينما الكلمات تخرج منه ساخرة.

3tt3.net

- صديقان؟! لا أظن أننا سنكون صديقين أبداً، آنسة براند.

سحب نفسه ببطء عن طاولتها، فأرسل بعض الارتجاف في أوصالها عندما استوى واقفاً. أما نظرته فأسرت نظرتها بطريقة شريرة حتى احتاجت إلى قوتها وعنادها كله لترد عليه بنظرة لا مبالية، لكنها كانت تدرك بشكل ملموس مدى تفوقه وعدوانيته التي تنبعث منه بقوة تعتصر القلب. شعرت أنه قادر على أن يجعلها ضعيفة هشة خائفة من شيء ما. ربما هي ضعيفة أمامه لكنها ليست عاجزة أبداً ولن تكون كذلك.

ومع ذلك، فقد أحست براحة كبيرة عندما استدار عنها. بدا أنه سيتركها ويخرج. لكنه مد يده إلى زهرة حمراء في النبتة المعلقة على الجدار وانتزعها متعمداً. ثم أخذ يلمس وريقاتها المخملية بين أصابعه بشكل أثار اضطراب ترودي. ثم، وعن سابق تصميم توجه خطوتين إليها فمرر الوريقات الناعمة ببطء، فوق بشرة ذراعها العارية. كانت هي مصدومة عاجزة عن الحراك بسبب تصرفه غير المتوقع ولم يلبث أن غرس الزهرة في جدائل شعرها الملتفة فوق أذنيها، وثبتها هناك بالطريقة نفسها التي يثبت فيها الغجر زهرة الخباز.

كانت مشاعرها كلها تصرخ لأن سيطرتها على الوضع في هذا اللقاء راحت تنزلق من بين يديها وليس أمامها إلا استعادة ذاتها لئلا يصبح نصرها خسارة. فسألته وصوتها ليس أكثر من تهدُّج أنفاس.

- لما فعلت هذا؟.

تحولت نظرته من الزهرة إليها، دون أن يحاول إخفاء لمعان السخرية التي رافقت رده.

- بدا لي أن هذه طريقة مناسبة لقول «الوداع».

- هل استسلمت سيد ستينال؟.

- قد لا تساوي أحياناً اللعبة القنديل المُنار من أجلها، آنسة براند.

حدق فيها لبضع ثواني، ثم هز رأسه ليسير بعد ذلك مبتعداً عنها، وهو يضحك بصوت خافت، مسرور. كان يقصد الباب مباشرة فظنته على وشك المغادرة لكنه وفي اللحظة الأخيرة استدار، وتعبيرات وجهه ملأى بنظرة غريبة شاذة. فقال ساخراً:

- في المستقبل آنسة براند، أظنني سأناديك ترودي، وليس هذا لأننا صديقان.

- لماذا إذاً؟.

- لأنني أرغب في أن تناديني نيل.

ارتبكت ترودي، لماذا هذا الاقتراح... لقد قال لها وداعاً، فلماذا الحديث عن المستقبل! أوَلم يكفِ أنه قد طالب سابقاً بالصداقة؟ ألم يكن الهدف من كل ما فعله أن يمهد الطريق لعلاقة متناغمة مع عائلة جويس؟ ولماذا يتملكها شعور بأنه يتقرب منها بطريقة أخرى.

هي الآن متأكدة من شيء واحد ألا وهو أن نيل ستينال ليس إنساناً يسهل التخلص منه لذلك عليها تثبيت قدميها ما دام فيها قدرة على ذلك. تنفست ترودي نفساً عميقاً كي تسيطر على الضعف الذي أخذ يلوي معدتها وأجبرت نفسها لتركز أفكارها من جديد على عملها.

ابتسمت له ابتسامة موافقة مدمرة:

- إذا كانت هذه هي القضية سيد ستينال... نيل... فما هي

3tt3.net

أسماء الأشخاص الستة الذين اخترتهم للعودة إلى وظائفهم؟.

أعطاها أسماؤهم دون تردد، وكأنما لا علاقة لهم البتة بما يجول في **تفكيره** شطبت ترودي الأسماء عن لائحتها، وهي مسرورة أن مستقبلهم لم يعد بائساً، لكنها لم تنسى الواحد والعشرين شخصاً المفروض توظيفهم في مكان ما بعد ذلك. أغلقت دفتر الملاحظات متنهدة برضى، ثم حضرت نفسها لمواجهة خصمها مرة أخرى.

كان قد أسند ظهره إلى الباب ويداه في جيبيه كضعيف مخدوع، لكن مظهره الوديع لم يخدع ترودي التي رأت أن خلف كل حركة يقوم بها هذا الرجل غاية. وبما أنه لم يرحل فهذا يعني أنه يريد أن يحقق شيئاً معها. قالت له وهي تريد أن تضغط على أعصابه بالعودة للتلاعب على الكلام:

- ألا تستطيع حشر بضعة عمال في الشركة؟.

- كما قلت لك من قبل آنسة براند، أنا أدير عملاً، لا جمعية خيرية. ولقد فعلت ما أستطيع دون أن أضطر إلى طرد أناس آخرين من وظائفهم.

- إذاً، يبقى هناك شيء واحد تستطيع فعله لأجلي.

- ماذا؟.

- رأسمال مضاربة، وبما أني أحتاجه وبما أنك تملكه فأنا أطلبه منك.

- أنا أفهم أن رأسمال المضاربة لا يستخدم في سبيل مشروع مجنون.

- سيدي أنا بحاجة للمال وأنت خير من يقدر على إعطائي إياه وأعدك أني لن أستخدمه إلا في مشروع جيد.

أجابها بسخرية قاسية:

- لم أكن أتوقع أن أكون مرغوباً من أجل مالي فقط. ولكن يبدو أن للمال سحره.

خدشت سخريته الجرح القديم الذي تركه بها زوجها السابق. فأجابت بحدة:

- لقد مررت بهذه التجربة من قبل والإحساس بأنك مرغوب لمالك إحساس بغيض. لكننا الآن لا نتحدث عن الحب والرغبات إنما نتناقش في تصحيح وضع بائس سببته يداك سيد ستينال.

- أريد أن تنطق شفتاك اسمي يا ترودي.

توقف قليلاً ليترك لكلماته وقعها ثم تابع قائلاً:

- لماذا تريدين هذا المال؟

قررت ترودي أن تناديه باسمه مقابل هذا المال كتبادل بسيط لمغانم حرب.

- أحتاج إلى ناقلة برّاد.

- ولماذا تريدينها ألتوزيع اللحم؟ أم لبيع البوظة أم لنقل الجثث؟.

- بل أريدها لنقل مساطر عن أبحاث الأمراض. من غرف عمليات الأطباء إلى البرّاد إذا احتاج الأمر إلى حفظها وكما قلت لك... يا نيل... لدي أصدقاء في مراكز رفيعة المقام. وأستطيع الحصول على هذا النوع من العمل إذا كان لدي مختبر وبراد.

ونظر إليها باهتمام:

- سأحضر لك براداً مدة أسبوع.

- بل مدة شهر. فسوف نحتاج إلى شهر على الأقل كي نعمل

3tt3.net

بشكل ملائم. ثم هناك مسألة بناء المختبر.

التوت شفتاه بابتسامة:

- حسن جداً، مدة شهر. طالما أنت موافقة على مراجعتي للحسابات في كل أسبوع. أما المختبر فسأبدأ بإيجاد المكان الملائم لبنائه مع البراد بعد أن أتأكد من إمكانية النجاح في هذا المشروع.

- عظيم!.

لوحت بيديها إشارة إلى أن شكوكه لا تقلقها، فردد:

- عظيم! هل أنت سعيدة الآن.. يا ترودي؟.

- أستطيع الآن شطب اسم آخر من لائحة العاطلين عن العمل. وبذلك يبقى عشرون عاطلاً لكنني لم أعد أكرهك كما كنت.

فضحك، وقد لمعت عيناه بسرور وهو ينزع يديه من جيبيه ليبتعد عن الباب متوجهاً إليها. أحست ترودي بأعصابها تتوتر مع كل خطوة يخطوها، كانت تعلم أن ضحكته لا تحمل الخير لها.

- والآن يا عزيزتي الآنسة براند. أتمنى أن تعترفي بأنني قدمت لك خدمات عظيمة. لذا أجد أن من الإنصاف أن تخدميني أيضاً والخدمة التي أريدها تعليمية ليس أكثر لأنك تملكين خبرة لا أملكها.

سألته بريبة:

- وما هي؟.

- لقد كنت متزوجة.

- وإن يكن؟.

وكان رده بحمل كل البساطة:

- أريد أن أعرف ما هي الأخطاء التي يجب أن أتفاداها عندما أتزوج. خاصة وأنني سأتزوج في وقت غير بعيد.

إذاً، لقد صمم على الزواج من جويس. وهذا دون شك سبب تنازلاته الكثيرة. ولكن لسبب ما أحست بشعور السيطرة الذي تمتعت به يندثر معكراً صفو سعادتها فهو سينجح في نيل غايته، وذاك الثري المعجب بجويس لن يستطيع إبعاد جويس عن رجل جذاب مثله.

كان يقترب منها شيئاً فشيئاً مستديراً حول الطاولة، متابعاً الحديث وكأنه يبعد انتباهها عن التقارب الجسدي بينهما:

- أذكر قولك إنّ فكرة الزواج رائعة، وإنّ المشكلة فيما يحدث بعدها. فهل لك أن توضحي هذا القول؟ فما هي المشكلة التي تحدث بعد الزواج؟.

اقترب منها إلى حد كبير حتى اضطرت إلى التراجع قليلاً لتستطيع النظر إليه ورغم أجراس الإنذار التي تدق ناقوس الخطر باعثة إليها التوتر والاضطراب إلا أنها استطاعت أن تقول بسرعة:

- الرجال يرون في الزواج منتهى الأمور، لا بدايتها وهو ليس سوى محطة قصيرة في حياتهم.

- من الواضح أنك أخذت الشريك الخاطىء.

- أعتقد أنك تريد تجنب هذا الخطأ؟.

هز كتفيه:

- أنا أحاول، فالزواج مغامرة، فما رأيك أنت؟.

لماذا تحولت نظرته نحو فمها الآن؟ لماذا تشعر أن كلماته تحمل أكثر من معناها الظاهر؟.

بدأت نبضاتها تتسارع في شرايينها.. ووجدت نظرها يهبط

3tt3.net

بدوره نحو فمه عندما تكلم:

ـ لكنني على الأقل أبدأ وأمامي فرص مليئة بالنجاح حسب ما أرغب.

بدأ صوته يصبح عميقاً ناعم النبرات، بينما عيناها عادتا لترتفعا نحو عينيه فسألته ساخرة:

ـ وما هي هذه الفرص؟.

أحست بوجهه يقترب أكثر منها.

ـ أريدك أن تعانقيني.

كاد طلبه يخطف أنفاسها.

ـ ولماذا؟

ـ للتجربة.

ـ ولكنك ستتزوج من جويس؟.

ـ ربما لا.

ـ ماذا تقول؟!.

ـ هناك مد وجزر في عواطف الرجال، وإذا نظرنا إليها عند المد...

ـ ها أنت تعود إلى الشعر ثانية، لكن اعلم أنك لن تنجح باستغلال شيكسبير.

رفع يده ليرفع وجهها إليه موقظاً مشاعرها المضطربة.

ـ استرخي آنسة براند... ترودي. لا أطلب أكثر من عناق سريع..

ـ عناق بريء؟

ـ بالطبع.

ـ عناق أخوة؟

ـ بالضبط.

انحنى بهدوء وخفّة تدريجياً. فبدأ بعناق بريء لم يلبث أن تغيّر مساره شيئاً فشيئاً بشكل حساس ولم تدرِ متى أصبح عناقه أكثر جوعاً وتطلباً أو متى بدت الأشياء لها حمراء قاتمة بعد أن بدأت أصابعه تتحرك، لتصل إلى خصلات شعرها. كان ما يقوم به رائعاً، طبيعياً، تجاوبت معه بقوة، لترى كيف ستتم هذه التجربة التي تحوّلت إلى فيضان من المشاعر لأنها ودون قصد فقدت السيطرة على التجربة فهذا الفيض العاطفي أجرى الدم دافئاً في عروقها فتسارعت نبضاتها والتهبت مشاعرها، وتعطل تفكيرها.

كان تجاوبها عنيفاً أكثر تجاه غزوه **المتملك**، ونسيت أين هي، وما المفترض أن تقوم به، وما هو الذي يثير كل هذه المشاعر فيها. فجأة تحطمت كل الحواجز بينهما وتفجّرت كل العواطف المخبوءة. ولم يعد العناق عناقاً سريعاً ولم يعد من السهل وصف ما هو. لأنه غدا متصلاً، فيه الرغبة الجشعة التي تولد المزيد من الأحاسيس وتلهبها بل إن مراقبة النفس تلاشت في عالم الرفض، وضاعت بيأس بين المشاعر السابحة في بحر الرغبات.

كادت ترودي تصرخ عندما ابتعد عنها. لكنها لما فتحت عينيها أحسّت بالصدمة لأنها في هذه اللحظة أدركت من هو الرجل الذي يقف أمامها. كان يهزّ رأسه وكأنه يريد الخروج من دائرة الدوار فتأوهت شاهقة:

ـ يا رب العالمين!.

أما هو فصاح:

3tt3.net

- اللعنة!.

طغى عليها حرج شديد خاصة وأنها شعرت بساقيها على وشك الذوبان وكأن ما عاد في جسدها مادة صلبة بفعل الإحساس العميق الذي تولده لمسته. ولولا يداه اللتان تمسكان بها في هذه اللحظة لهوت إلى الأرض.

التمعت عيناه وقد ركزهما عليها، لكن صوته بقي مرتجفاً عندما حاول أن يبرر ما حدث بينهما:

- لم أكن أقصد كل هذا، يا ترودي.

- ولا أنا.

- حقاً! إنها ليست سوى تجربة سُررت لأنني نلتها وهي تجربة قد تحدث في أي وقت... معك.

- وهل تمزح؟.

كانت عيناها الخضراوان تبرقان من هذه الظاهرة الفريدة التي جرت لها والتي لا شبيه ولا تفسير لها.

- صدقيني، إنها مسألة لا مزاح فيها. كما لو أننا نتكلم عن خطط الفئران والرجال...

- وهل أنت آلة لترديد أبيات الشعر، رددت أقوال ودتورث أول الأمر، ثم شيكسبير، والآن شتينبك! ما حدث كان مفروضاً أن يكون عناقاً عابراً.

- أجل.. حسناً، لقد تماديت قليلاً.

- قليلاً؟!.

- كثيراً... ولكن دون قصد الضرر... هل حدث ضرر؟.

- ... أعتقد أن لا.

ولكن تفكيرها كان يتساءل عن صدق إجابتها. لمس خدها

بتحية قصيرة:

- عظيم! أتمنى لك أفضل الحظ في مشروع التوظيف. سأرسل لك الحافلة غداً. على أن تكون إعارة مدة شهر.

تركها واقفة، وكان على وشك فتح باب المكتب ليخرج عندما نادته:

- انتظر!

- نعم!

وضعت يديها على خصرها ثم أجابته بغضب.

- على الأقل قل لي ما هو تقييمك بعد أن أعرتك نفسي بكل كرم.

كانت لهجتها باردة، فقال وهو يقطب مفكراً:

- يبدو لي هذا من العدل... يجب علي أن أقول انك ناجحة بنسبة اثنين وتسعين في المئة.

- اثنان وتسعون في المئة؟!.

يا إلهي إن هذا الرقم إهانة لها إذ يجب أن يكون على الأقل مئة المئة بل أزيد أيضاً! فضحك:

- هذا رقم مرتفع جداً.. أراك في الأسبوع المقبل ترودي. لأتفحص حسابات خدمات حافلة البراد.

خرج من المكتب فأقفل الباب وراءه قبل أن تتمكن من التفكير برد قاطع على كلامه، ولم يكن أمامها أي شيء يرضيها لتفوقه به. وبقيت وحدها تحترق من الإحباط المضاعف، بعض هذا الإحباط لم ترغب في التفكير به حتى لا تشعر بالمذلة، فاحترامها لنفسها لم يكن ينقصه مثل هذه الضربة السلبية.

وأخذ تفكيرها يصور دفقاً من الحلول. سوف تعود للانتقام

3tt3.net

من نيل ستينال، وسوف تجعله يزحف ظلباً لخدماتها. سوف تحطم سيطرته على نفسه حتى يضطر إلى التوسل طلباً للرحمة.

ثم... تذكرت جويس... وتهاوى كل ما تحلم به فوجدت نفسها للمرة الأولى لا تدري ماذا تفعل.

* * *

٥ ـ النَّرْد في مرماها

«لم يحدث أي ضرر..» كلمات نيل ستينال تسربت إلى تفكير ترودي ثانية باعثة فيها النشاط والتصميم إذ أخذت تعمل على أساسهما. لقد أعادت توظيف سبعة أشخاص. وهذا إنجاز تفخر به، وكيف يمكن لعناق أن يقارن مع هذا الانجاز؟ الحوادث تحدث ولا قدرة للإنسان على السيطرة عليها، لكنها في المستقبل ستحرص على أن لا تتعرض لظروف مشابهة.

تناولت الهاتف، ثم أخذت تشغل نفسها بالمهمة السعيدة في نقل الخبر الجيد لمن يعنيه، وهكذا تركت ست عائلات سعيدة اضافة إلى سائق الحافلة. عندما أقفلت المكتب وتوجهت نحو المنزل، كانت قد تغلبت على القلق الذي غلبها قليلاً.

ساقت سيارتها وسط ازدحام السير فوق جسر «لندن» تتشق طريقها نحو المنزل في الضواحي. وما إن وقعت عيناها على فيللا والدها الجميلة حتى أصيبت بالدهشة فقد وصلت دون أن تشعر برحلتها.

كان هذا المنزل لعائلتها منذ ثلاثة أجيال.. يقع في وسط أراضٍ واسعة ويطل على لندن ونهر التايمز من كل نافذة فيه

3tt3.net

تقريباً، ويساوي الملايين، كما قال لها زوجها السابق، ولكنها في تلك المرحلة المبكرة من علاقتهما لم تنتبه لبريق الجشع في عينيه.

كل الفرح الذي كان يتملكها، تلاشى على مائدة العشاء:

- أين جويس؟

- لقد اتصلت باكراً لتقول انها ستتأخر خارجاً. وأتوقع أن تكون على موعد مع نيل.

انعدمت شهيتها عندما سمعت كلماته، وأحست بمعدتها تتقلص... كيف يخرج نيل من مكتبها رأساً إلى... وأحست بالغثيان... سألها والدها وعيناه تلمعان بالاهتمام:

- كيف كان يومك يا عزيزتي؟.

سردت له ترودي انتصارات يومها، فأضاء وجهه بالسعادة:

- يا لطيبة نيل الذي رضي التفاوض!.

أفسد قوله سعادتها أكثر لكنه لم ينتبه لما يعتمل في نفسها. ولم يلبث أن أضاف:

- هذا يظهر جانباً من شخصيته لم أكن متأكداً من وجوده. إنه رجل أعمال قدير، لكن يسرُّني أن تكون له اهتمامات خاصة فذلك يدلني على الاهتمام الذي سيوليه لجويس بعد الزواج.

يبدو أن أباها لا يعرف أبداً طبيعة ستينال الحقيقية لكنها مراعاة لمشاعره امتنعت عن تسفيه رأيه.

- ترودي... لقد طلب نيل أن نذهب ثلاثتنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزله الريفي قرب كامبردج وأعتقد أنه خطط لهذه المناسبة كي... حسناً، لن أدهش إذا أعلن الخطبة. وأعتقد أن عليك أن تكوني هناك.

- لا!.

رفضها السلبي خرج من فمها دون أن تقدر على منعه. فالتفكير بأن نيل ستينال سيمضي قدماً بزواجه من جويس جعلها تصاب بالغثيان أكثر وتابعت بسرعة:

- لا أستطيع يا رونالد.. فلدي مشاريع أخرى.

قطب رونالد جبينه، وقد بدا الإحباط واضحاً عليه.

- إذا كان سيطلب يد جويس، فلن يفتقدني.

تنهد والدها:

- إنها مسألة عائلية يا ترودي. وبما أن نيل سيساعدك في مشروعك.. فكري بالأمر أرجوك يا عزيزتي.

لم تستطع أن تشرح له الاضطراب الذي تشعر به تجاه هذه المسألة. لماذا عانقها نيل وهو ينوي الزواج من أختها؟

توقف والدها عن خوض هذا الموضوع ليتطرق إلى آخر:

- كيف ستحصلين على المال يا عزيزتي؟.

- أنا لم أكسب شيئاً اليوم. كنت أحاول البدء بعملي. ولا أستطيع نيل أجرتي من نيل ستينال جزاء عملي لهؤلاء الأشخاص الستة. لأنني لم أفعل شيئاً لتوظيفهم. ولكن لا تقلق، المال سيأتي، وكل شيء سيسير على ما يرام.

عندما دخلت غرفة نومها.. أخذت تذرع الأرض، محاولة التفكير بحفلة التبرعات التي ستقيمها فيقيان ولكنها لم تتوصل إلى شيء.

مرت الساعات وجويس لم تعد بعد إلى المنزل. ولم يكن هذا من شأن ترودي، فجويس لها الحق أن تبقى في خارج البيت ما شاء لها ذلك.

3tt3.net

ولمّا رأت أنها عاجزة عن إيجاد فكرة ما تساعد فيثيان، قررت أن من الأفضل أن تنام دون حل المشاكل... فالغد يوم آخر... وغداً سوف تجبر نفسها على تحريك كل شيء.. وسوف تشتري الطلاء للمكتب، سوف تجد المزيد من الوظائف، ستختار بعض السجاد. وفي الوقت الذي سيعود نيل ستينال إلى المكتب في الأسبوع المقبل سيجده لائقاً ومرتباً.

لم يطرق النوم أجفانها بل جفاها إلى أقصى حد. وقد بقيت على هذه الحال حتى عادت أختها إلى البيت عند الواحدة إلا خمس دقائق! لو أن نيل ستينال ما زال يلعب دور المهذب مع جويس، فلا بدَّ أنَّ هذا اليوم كان جحيماً له.

أسرعت تخرج من السرير وتتوجه إلى غرفة جويس، وهي تشعر برغبة عارمة لمعرفة ما حدث، ولم تكن جويس قد أغلقت باب غرفتها بل كانت تقف أمام مرآتها، تمرر أصبعها فوق شفتيها ويدها الأخرى تتحسس صدرها. عندما رأتها ترودي على هذه الحال أحست كأن قبضة من حديد أطبقت على قلبها تعصره بألم.

- أليست الليلة باردة؟.

كان يسيطر عليها غيمة سوداء اعتقدتها ترودي غضباً لا غيرة لأن الغيرة لم تحس بها قبل الآن. ولعل غضبها كان لقدرة نيل على بعث مشاعرها حية قوية ونقلها بعد ذلك إلى جويس، استدارت أختها، وأنزلت يدها عن صدرها بسرعة، وقد احمر وجهها إحراجاً وخجلاً.

- أوه.. ترودي.. أنا.. لا.. لا أشعر بالبرد.

لم تستطع ترودي منع نفسها!.

- أعني نيل ستينال.

احمر وجه جويس أكثر:

- نيل؟ لم أكن مع نيل الليلة يا ترودي. لقد خرجت مع صديق لي.

تلك الغمامة السوداء التي عصرتها ألماً أضحت فراغاً غريباً.

- ألم تكوني معه؟.

- من؟.

- نيل ستينال!.

هزت جويس رأسها بحيرة لتصرف أختها الكبيرة الغريب. وقالت دون أن تتمكن من التوضيح أكثر:

- لم أشاهد نيل منذ يوم الحفلة.

حاولت ترودي أن تقوّم تفكيرها المضطرب. ولكن الوضع لم يتوضح لها تماماً فسألتها:

- لماذا؟.

وعبست جويس في وجهها:

- لماذا.. ماذا؟ ثمة خطأ ما يا ترودي؟ لماذا لم تنامي حتى هذه الساعة المتأخرة؟.

الآن لم يعد يهمها شيء، لا صورة جويس وهي تتلمس فمها ولا أي أمر آخر في الدنيا. كان بريق الأمل يطل من عينيها عندما سألت:

- هل كان رودني؟.

- ماذا تقصدين؟.

- رودني.. ذاك الشاب الثري.

- آه.. أجل.. في الواقع إنه هو. لقد طلب مني الخروج معه و... حسناً، إننا صديقان منذ مدة طويلة، ولم أجد ضرراً

3tt3.net

في الخروج معه..

- لا.. لا ضرر إطلاقاً.

أحست ترودي بموجة عارمة من الراحة وهي تضيف قائلة:

- إنه أمر عظيم... حقاً عظيم... جويس تصبحين على خير.

عندما عادت إلى غرفتها لم تجد صعوبة في الاستغراق في النوم، كانت تشعر وكأنها إسفنجة قد عصرت حتى أصبحت جافة لذا استلقت في السرير لتسلم نفسها للسلوان.

عندما استيقظت في الصباح التالي، منتعشة جسداً وعقلاً، بدأت حيويتها من جديد، لكنها أبعدت التفكير بنيل ستينال الذي وفى بوعده وبعث إليها تلك الحافلة. وكم سُرّت لأنها وجدته رجلاً يفي بوعوده.

اجتمعت بالموظفين المطرودين فراحت تأخذ منهم المعلومات عن قدراتهم العملية ولم يزعجها سوى أمر وحيد هو تخلف السد تومسون عن الحضور الذي لم يتصل معتذراً لذا قررت أن تزوره في منزله لأنها خافت أن يكون المسكين مريضاً.

عند الخامسة أقفلت المكتب، ثم اتجهت نحو عنوان السيد تومسون الذي فتح لها الباب بنفسه مسبباً لها الدهشة فكان أن حياها محرجاً:

- آنسة براند.. يؤسفني إزعاجك لكنني حاولت الاتصال بك دون جدوى فالخط بقي مشغولاً.

- لابأس سيد تومسون، لقد حضرت لأنني ظننتك مريضاً.

- أنت امرأة رقيقة القلب. ادخلي يا عزيزتي فأنا أدعوك لتناول العشاء.

- إذا كان لا يزعجك ذلك.

إن العشاء سيخوّلها الحديث معه.

- أرجو أن لا تمانعي في الجلوس معي في المطبخ بينما أحضر العشاء.

فضحكت ترودي:

- شرط أن لا تطلب مني مساعدتك في الطبخ، فأنا لا أجيد الطهو.

- أتحبين أن أعلمك؟ أنا أتمتع بالطبخ، لقد كنت أطهو عوضاً عن زوجتي التي كانت دوماً مريضة.

لم يبدُ السيد طومسون مترهلاً، وهو ابن الخامسة والخمسين. كان طويل القامة محنياً قليلاً بسبب وظيفته ككاتب. لكن الشيب كان قد غزا شعر رأسه.

بعد أن أنهى تحضير المائدة، جلسا يتناولان الطعام، وقال لها:

- لم أجد ضرورة لذهابي إلى المكتب.

- وهل وجدت وظيفة؟.

- لا يا عزيزتي، بل نظرت إلى الحياة بواقعية. فوجدت أني لن أتوظف ثانية.

- هذا ليس صحيحاً!.

- ماذا سأعمل وأنا في هذه السن؟.

- هذا ما أريد الحديث معك عنه، ما هي هواياتك.

- ليس لدى الكثير حقاً، أهتم بالحديقة قليلاً وهذا كل شيء. في عصر الكومبيوتر هذا، أنا شخص لا لزوم له.

تذكرت ترودي شيئاً كانت قد نسيته. انها لا تحب طبق

3tt3.net

السمك الذي حضره، لكنها لئلا تضايقه قررت تناوله وما فاجأها أن الطبق كان شهياً. فقالت بصدق:

- إنه أشهى طبق تذوقته في حياتي. إنه ممتاز! مقارنة مع ما تطهوه السيدة يوركبيشر!.

- لقد كانت زوجتي تقول إنني أبرع من طها. وكنت دائماً أتمنى العمل طباخاً في مطعم، لكنني أصبحت عجوزاً وعصر الكومبيوتر هذا قضى على حياتي العملية لذا لا أرى داعياً لترهقي نفسك بسببي.

لم تكد ترودي تسمعه لأن تفكيرها كان منصباً على ڤيڤيان دورلاند التي هي بحاجة إلى طاه.

- سيد تومسون.. وجدت لك المكان المناسب ولكن هناك مشكلة صغيرة سأتغلب عليها وأعدك بعد أسبوع أن يسير كل شيء على ما يرام.

- يا عزيزتي.. لا تدعي الأحلام تحملك بعيداً.

أضحكتها كلماته.

- أؤكد لك أنني لا أحلم لكنني أفكر بالوظيفة التي ستعطيك فرصة جديدة فأنت ستطهو أطعمتك اللذيذة لإحدى ألطف النساء في العالم... فهل تعدني بالتجربة.

- حسناً أعتقد أن التجربة لن تضر بي شيئاً.

- لا ضرر إطلاقاً فهل ستعدني بعدم التراجع لأنَّ الأمر هام بالنسبة لي؟.

- هام لك يا عزيزتي الآنسة براند؟.

- لا أستطيع أن أفسّر لك إلا بعد أن أرتب كل شيء. فسيكون هذا أحد أهم الأشياء التي قمت بها في حياتي. أنا

بحاجة لتعاونك معي!.

- إن كان الأمر يهمك إلى هذا الحد فأنا أعدك بالتعاون.

وقفت عن المائدة لتضمه إليها شاكرة:

- شكراً على وجبة الطعام. يجب أن أذهب. سأتصل بك عندما أحضر المقابلة لك.

كان الأحبّ إلى نفس ترودي الذهاب إلى منزل ڤيڤيان، ولكنها أجّلت الأمر عن عمد. وقررت أن تمنح نفسها فرصة ثلاثة أيام لتفكر بأفضل طريقة، فلن تتحمل السماح لأي خطأ، وإلا فلن توافق ڤيڤيان.

من سوء حظها ظهر الجمعة أن نيل ستينال اقتحم مكتبها وهي في أسوأ وضع فقد كانت جالسة على الأرض، تدهن آنية الزهور الفخارية الكبيرة باللون الأخضر الفاتح الذي دهنت به إطارات النوافذ الخشبية ولوحات الحافة. وكانت تعيد حفظ ما ستقوله لڤيڤيان بسعادة هذا المساء.

نظرت إلى نيل بامتعاض وغضب لأن لا حق له بدخول مكتبها على هذا النحو البغيض بل لا حق له بالمجيء. فقالت بحدة:

- لقد اتفقنا على أن تأتي بعد أسبوع سيد ستينال ونحن اليوم نهار الجمعة لا الاثنين.

تهجمها الصاعق صدمه وأوقفه مكانه وهذا ما أرضاها قليلاً. أما عيناه السوداوان الساحرتان اللتان راحتا تتأملان جسدها الملطخ بالدهان فقد بعثتا إليها شيئاً من الإزعاج.

وقد أزعجها مظهرها الذي بدت فيه أمامه. فقد كان حذاؤها على الطاولة مع ملابسها النظيفة المناسبة. وجدت أن الطريقة

3tt3.net

الأنسب هي أن تقف غير مبالية بوجوده. عندما وصلت إلى هذا الحل، وضعت فرشاة الدهان من يدها، ثم وقفت على قدميها مظهرة عدم مبالاتها واكتراثها.

لكن النظرة المترفعة المتغطرسة التي رسمتها على وجهها ضاعت هباء أمام نيل ستينال الذي أمعن النظر في مكان معين من صدرها. فتذكرت ترودي أنها لم تقفل أزرارها كلها. كان عليها أن ترتدي شيئاً أفضل. لماذا تسير الأمور معها من سيء إلى أسوأ، تباً لهذا الرجل ولهذه المشاعر التي يولّدها فيها فالرعدة لا تبرح أوصالها عندما يكون معها.

أخذت تعالج وضع الأزرار في قميصها بيد ترتجف من الازدراء وهي تعلم أن عينيه تتابعان تأملها وقد ضاق القميص على صدرها أكثر عندما حاولت إصلاح الوضع... لماذا لا يتكلم هذا الرجل الشرير... لماذا لا يقول لها لماذا جاء إلى هنا؟.

تبادر إلى ذهنها أن تكون البذور التي نثرتها حوله قد أتت ثمارها في وقت أبكر مما توقعت. فإذا كان الأمر هكذا، فقد ضاعت هيبتها للنصر الذي كانت تتوقعه بكل ثقة. وقالت بنعومة، غير قادرة على الصبر لتعلم ما إذا كانت على حق:

ـ لم أكن أتوقعك اليوم سيد ستينال. ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك؟.

ارتفع ذقنه رويداً رويداً بعد أن شقت عيناه طريقهما إلى عينيها. كان وجهه صارماً، وفكه مشدوداً حتى كادت ترى كل عضلات فكه تتحرك.

ـ أنا واثق أنك تعرفين لماذا جئت آنسة ستينال. أنت المحرك

الأول لما حصل. أستطيع أن أرى يدك في كل شيء منذ اليوم الأول، وليس لدي أدنى شك أنك مدركة تماماً لما فعلته وللمحاذير المحتمة التي حصلت. وأنا أيضاً واثق، أنك عندما تصممين على أن تكوني الشوكة في خاصرتي، فسوف تحتسبين عمق كل الجروح، وكل الخدوش.

انتشرت ابتسامة النصر على وجهها. فأضاءته بنور يمكن أن يوقف المرور في أي مكان.

ـ هل دق أحدهم مسماراً في خاصرتك سيد ستينال؟ أم أنك اكتشفت أن ليس من السهولة إدارة أعمالك كما كنت تظن. أو أنك أدركت أن بعض الناس لا بدّ منهم لتسيير أمبراطوريتك بشكل ناجح.

لم يجبها.

تاهت ترودي بفخر انتصارها.

ـ إذا كنت قد أتيت لإعادة بعض الأشخاص إلى وظيفتهم سيد ستينال، فشكراً لك على تفكيرك بمن قمت بطردهم. دعني فقط أحضر دفتر ملاحظاتي لأشطب الأسماء وبعدها نتكلم عن العمل مباشرة.

ولم يجبها، بل بدا وكأنه قُدَّ من صخر أو كأن أفكاره بعيدة كل البعد عنها. شعرت بالقلق بسبب صمته هذا. لكن ما العمل والنرد قد أصبح في مرماها.

توجهت إلى طاولتها لتلتقط منها دفتر ملاحظاتها والزهو والنصر يملآن قلبها.

3tt3.net

٦ ـ أريد عناقك

كان نيل حائراً بين فكرتين وهذه حالة لا تعجبه أبداً. كان يعلم ما جاء يفعله وما عليه أن يفعله وما على أي إنسان يملك ذرة من عقل أن يفعله. كان عليه أن يلقنها درساً لا تنساه طوال حياتها وهو قادر على ذلك قانونياً فهو يستطيع أن يحطم أشرعتها بقساوة بحيث لا تستطيع الإبحار ثانية ويستطيع أن يخمد هذا البريق في عينيها في عشر ثوان. وهذا التردد الذي يشعر به يثبت أنه لا يفكر تفكيراً سليماً.

لقد أنصفها... بل كان أكثر من منصف، بعد أن أعاد ستة من الموظفين وأعطاها حق استخدام الشاحنة التي وافق على إعارتها إياها في سبيل تمهيد الطريق لذلك العناق الملتهب الذي حصل عليه! لقد أراد أن يفرض سيطرته على الإغراء الذي تجسده، وعوضاً عن ذلك ضعضعت ذكرى الإثارة البركانية التي حركتها فيه، قدرته على التركيز على عمله طوال الأسبوع.

فلماذا أثّرت فيه هكذا؟ إنه أمر غير معقول! يجب أن يكون هناك قانون يلجم مثيلاتها من النساء! كيف سمح لنفسه النوم على

حرير كلامها المعسول وكأنه تلميذ مدرسة؟ يجب عليه أن يتوقف عن الإعجاب بذكائها لأنها ليست أكثر من امرأة شريرة، مخادعة... ومع ذلك فقد اعترف أن لها قدرة مذهلة في العمل حتى تمنى أن يملك بعض مدرائه هذه القدرة. أما ما فعلته هذا الأسبوع مستغلة ذاك السحر الذي رمت شباكه حوله فأمر لا يغتفر.

عندما رفعت ترودي نظرها عن دفتر الملاحظات، كان وجه نيل ستينال على حاله وكأنه قُدَّ من صخر مع تغيير طفيف في تعابير وجهه. وهنا وللمرة الأولى تساءلت إن كانت قد تمادت في أفعالها فنيل كان رفيقاً بها كريماً معها بل لقد بذل جهده ليرضيها ويساعدها، وإن كان ذلك في سبيل تدعيم علاقته بجويس. لقد أرادت بالفعل خلق عدو لها. ولكن في الواقع، إن تلك المكالمات الهاتفية المدمرة كانت قد قامت بها قبل عروض السلام التي قدمها يوم الاثنين الماضي. لكنها اعترفت لتكون صادقة مع نفسها أنها كانت ستجريها في كل الأحوال لأنه مخطىء. ومهما تكن قد فعلت أو ارتكبت في حقه فهذا لا يعني أنه يحق له أن ينظر إليها بهذه الطريقة وكأنها حشرة بغيضة.

سألته ببرود كي تصرف انتباهه عما فعلته:

ـ ما رأيك بمكتبي الآن؟

أجال طرفه بهدوء قبل أن يعيد بصره إليها:

ـ أي شيء كنت ستفعلينه كان سيكون تحسيناً كبيراً.

ـ ألم يعجبك؟

ـ يبدو لي الآن مألوفاً.

كانت سخريته أفضل من تجهمه.

3tt3.net

ـ أنت تعلم أنني قد أجريت بعض الاتصالات بأشخاص معينين، وهذا يعني أنك ستخسر بعض الأعمال إن لم ترجع الموظفين إلى أعمالهم.

ـ هذا سبب وجودي هنا. لقد أبلغني بعض العمال الذين رغبت في توظيفهم أنك أنت من ستفاوضيني على توظيفهم. كم تريدين هذه المرة يا ترودي؟.

أجفلها لذع كلماته الأخيرة، لكن الخطأ خطأه لأنه تغاضى عن أهمية ولاء العمال، وصرف النظر عن الرباط والعلاقة بين العاملين، وانطلق في هذا الطريق ضارباً عرض الحائط كل أعمال الإدارة الطيبة قبله. أما الآن فليدفع ثمن أخطاءه.

بدأت المساومة:

ـ عليك أن تأخذ في الاعتبار الصعوبات الشخصية، الإحباط، المشاعر المجروحة، إهانة الكرامة...

ـ وفري عليَّ سرد التفاصيل.

ـ أطلب تعويضاً لكل منهم أجرة ثلاثة أشهر.

ـ يدهشني أنك لم تطالبي بحقك.

رفعت ذقنها متحدية:

ـ بل سأطلب المبلغ نفسه عمولة لي.

قست ملامحه. ربما، تمادت كثيراً. ولكنه هو من دفعها إلى هذا. فقالت:

ـ لقد ذكر أبي أن علي جني الأرباح.

ـ سأرسل لك شيكاً يوم الاثنين في البريد.

ما الذي يجري؟ إن في الأمر شيء ما؟ لِمَ يستسلم بسهولة دون أن يفاوضها لتقبل بأقل مما تطلب؟ إن في الأمر خطأ فهو إمَّا

يتصرف خلافاً لعادته وإما أن ضرراً قد أصابه حقاً... فهل أذته فعلاً بعملها؟

ـ نيل...

ارتفع أحد حاجبيه بتساؤل ساخر، فاحمر وجهها وقد أدركت أنها استخدمت اسمه الأول، لكنها تابعت:

ـ... هذا لن يغير شيئاً بينك وبين جويس أليس كذلك؟

رغم رغبتها في ألا يتم الزواج بينهما إلا أنه لا يحق لها أن تتدخل في هذه العلاقة.

أجابها دون تردد.

ـ لا، إطلاقاً.

ـ هذا شيء بيني وبينك فقط.

ـ هو كذلك. بالمناسبة أريد عودة أربعة رجال إلى العمل يوم الاثنين. وأعتقد أنك تعرفين أي أربعة منهم.

رددت أسماءهم، فهز رأسه إيجاباً وقد التوى فمه بابتسامة ساخرة:

ـ يمكنك الآن شطبهم من اللائحة.

ـ أجل... الشكر لك.

ارتبكت لأن شيئاً ما هي عاجزة عن فهمه.

ـ وكم بقي منهم الآن؟.

لم تفهم غايته من هذا السؤال لكنها أجابته بصراحة:

ـ ثلاثة عشر.. لقد وظفت اثنين منهم هذا الأسبوع، وأتوقع أن أوظف السيد تومسون الليلة.

ـ لا بد أنك تشعرين بالرضى.

أخذ يدنو منها رويداً رويداً فوقفت حيث هي لأن في اقترابه

3tt3.net

خطراً داهماً، فرغم أن تعبير وجهه تغلبه السخرية لا التهديد إلا أن مشاعرها ضجت باعثة فيها القشعريرة المتزايدة مع اقترابه. كان يدنو منها لكنها لا تعتقد أنه سيعانقها مجدداً خاصة وأنها لا تريد ذلك ولكن دُنوّه أثار فيها ذكريات لبّدت تفكيرها بالغيوم. فقالت له بتثاقل:

ـ لن أزعجك بهم بعد الآن.

ـ أعلم أنك لن تفعلي. لقد أقفلت كل أبوابي الآن.

استقرّت نظراته على فمها، فبدأت شفتاها ترتجفان فأطبقتهما وهي تبتلع ريقها بصعوبة مكافحة أنفاسها المتهدجة.

ـ خدمات النقل... في الشاحنة... تبدو جيدة...

كانت الكلمات تخرج منها متقطعة.

ـ أنا سعيد لسماع هذا (تمتم نيل) سأعود الثلاثاء المقبل، لأتأكد من حسن سير الأمور.

فردت هامسة:

ـ عظيم.

رفع يده بنعومة ليضرب أنفها باصبعه.

ـ لديك بقعة دهان هنا. الأفضل أن تزيليها قبل خروجك لئلا يعتقد السيد تومسون أنك غير محترفة.

استدار خارجاً بسرعة كما دخل دون أن يتفوه بكلمة أخرى، تاركاً ترودي في حالة اضطراب كامل. بينما وقفت هي جامدة مصدومة تراقب خروجه بصمت.

لا جدوى من إنكار الحقيقة الرهيبة الآن. لقد رغبت في أن يعانقها. أرادت أن تشعر بذلك الشعور المجنون بين ذراعيه مرة أخرى. وكم كرهته في هذه اللحظة لأنه تركها متوترة وكل

أعصابها تنتفض إحباطاً بل لقد كرهت نفسها أكثر لأنها تريد ما يجب أن لا تريده. إنه رجل جويس، ونيل ستينال لن يغير هذا الوضع. لقد قال لها هذا بكل صراحة.

كانت كلما أمعنت التفكير بالأمر ازدادت غلياناً، لكن ما كان يعزيها أنها جعلته يدفع أكبر قدر ممكن حتى عمولتها سيدفعها. مع أنها لم تكن تدري لماذا وافق على مطالبها دون الكثير من الاحتجاج أو المناقشة. هناك شيء يثير الريبة، وكأنه يخبىء لها شيئاً ما، ينتظر إظهاره يوماً ما.

شعرت بأنها عاجزة عن متابعة العمل في الدهان لذلك نظفت كل شيء بما فيه البقعة التي على أنفها، ثم غيرت ملابسها لترتدي الملابس التي اختارتها لزيارة ڤيڤيان ملقية خلف ظهرها كل تفكير بنيل ستينال.

ما إن وصلت إلى منزل ڤيڤيان حتى كانت قد نجحت في إبعاده عن ذهنها قليلاً. فتحت ڤيڤيان الباب بنفسها، واللهفة في عينيها أخبرت ترودي، بأفضل من الكلمات، مدى شوق ڤيڤيان إلى معرفة ما يهمها أمره.

أجلستها ڤيڤيان في مقعد ذي ذراعين مغلفين بقماش وردي، ثم تحركت بسرعة نحو الطاولة حيث وضعت، وعاء من الكريستال مليئاً بعصير الليمون، وأكواباً زجاجية رائعة.

ـ ستتناول قليلاً من العصير. فأنا عادة أشرب العصير في مثل هذه الساعة.

ـ شكراً لك.

وتقبلت ترودي الكوب وهي تضع على وجهها لمسة وقار، فما جاءت لتبحثه أكثر من جدي، نظرت إليها ڤيڤيان دون توقع:

3tt3.net

ـ إذاً.. ما الأمر؟.

ـ سيدة دورلاند... فيفيان... يجب أن نبدأ من الأول. من المتفق عليه، كما يجب، أن الرجال مخلوقات كريهة، والأزواج هم أسوأ الأنواع، لأنهم قذرون.

نظرة فيفيان المتعجبة الأولى تحولت إلى اشمئزاز.

ـ توماس...

لم تقل سوى هذه الكلمة، وكانت كافية لتشير أن ذكرى زوجها لم تكن مريحة لها. فتابعت ترودي:

ـ ولقد حصل لي، كما نعرف جميعاً، أسوأ تجربة في حياتي. تجربة يمكن للنساء دائماً أن يدرن ظهورهن لها.

هزت فيفيان رأسها متعاطفة. الأمر ينجح أكثر مما كانت ترودي تتوقع. وأسرعت لتحصل على التأثير الدرامي:

ـ لقد توصلت إلى فكرة لجمع التبرعات لكن، المطلوب منك أن تقومي بتضحية كبرى يا فيفيان. وهذه هي الطريقة الوحيدة... كنت أستطيع القيام بها بنفسي، من أجل الأطفال الأيتام... ولكن أخشى أن لا يكون لهذا الأمر سواك. وإلا فلن ينجح المشروع.

نظرت إليها فيفيان مشدوهة. فتنفست ترودي عميقاً.

ـ أريد أن تدفعي رجلاً إلى حياتك ومنزلك.

ـ ترودي..!.

الصدمة والرعب انتشرا فوق وجه فيفيان... وأكملت:

ـ لا أستطيع... هذا كثير...

سارعت ترودي إلى بعث الراحة إلى نفسها.

ـ كطباخ لا كزوج.

ـ أنا.. لست أفهم...

ـ الأمر سهل في الواقع، لقد فكرت بأن ما نحتاجه هو إقامة مزاد خيري ليس كبقية المزادات التي قمنا بها من قبل.

ـ وماذا في ذهنك يا فتاة؟!.

ـ لنبدأ بالسلبيات كما هي الأمور عادة، أنت تعلمين أن معظم المزادات الخيرية تعرض... برادات، لنقل قيمتها ألف دولار، فماذا يحدث؟ قد تأتي بألف دولار أو تسعة، أو ألف ومائة. وهذا ليس فيه مستوى. ونحن نسعى وراء المستوى.

ـ وكيف تنوين إقامة المزاد؟.

فضحكت ترودي:

ـ فيما بيننا سندعوه «حمام دم ملوك المال»! أما أمام الناس فسنسميه «حلم الأحلام» سوف نطرح في المزاد أشياء لا لزوم لها البتة في العالم، ثم نراقب بعض أغنى الرجال يتنافسون كالأطفال لانتزاعها من بين أيدي بعضهم البعض، سوف نضع حبهم للذات في الميزان... ونراقبهم يتقاتلون من أجله... وأعتقد أنهم سوف يتقاتلون مثل الثيران الهائجة. وأنت تعلمين ما أعني. وهذه هي الخطة...

استمعت فيفيان إلى خطة ترودي بسعادة ثم صاحت:

ـ يا عزيزتي! أنت نابغة!.

ـ لكننا نحتاج إلى السيد تومسون.

ـ أجل.. أجل.. أفهم ذلك.

ـ ما أحتاجه الآن هو وظيفة طباخ. وإذا وظفته يا فيفيان، نكون قد أتممنا خطة المشروع، لأنه سيقوم بكل ما نطلبه منه وإلا...

3tt3.net

تنهدت ترودي بعمق، ثم رفعت يديها إشارة العجز:

- وإلا.. كيف لي أن أضمن لك النجاح؟.

- من أجل هذه القضية، سأفعل ما تريدين.

ووقفت ترودي احتراماً لها:

- أنت امرأة رائعة، يا فيقيان. سوف أحضر السيد تومسون غداً كي ترى بنفسك إنه كما وصفته لك. وأعدك ألا تخسري شيئاً لأنه طاه ماهر.

- سأنفذ المطلوب.

بعد أن حققت ترودي ما تصبو إليه خرجت من بيت فيقيان لتقود سيارتها بروح مرتفعة. وهذا انتصار، لن يتمكن نيل ستينال من إفساد بهجته.

ولكن، ما كادت تدخل الباب الأمامي للمنزل حتى فوجئت بأبيها يخرج من المكتبة ووجهه يخلو من السرور فقد بدا مسوّد الوجه من القلق والاضطراب.

- ترودي.. أرجوك.. أريدك على انفراد.

صاحت:

- ما الأمر..؟ هل أستدعي الطبيب؟.

لم يجبها إنما أشار إليها نحو المكتبة. فأسرعت ترودي وهي تريد أن تعرف سبب هذا الوجوم. ففي الصباح كان سعيداً هانئاً، فما الذي حدث الآن؟.

سألته بذعر وهي تقفل الباب خلفها.

- جويس!.

- جويس لا يثير المشاكل إنما أنت. كيف يمكن أن تكوني عديمة المسؤولية إلى هذا الحد؟.

- أنا؟..

- لقد تفهمت سخطك بسبب بيع الشركة، وتفهمت استياءك مني لأنني رفضت أن أسلمك زمام الشركة. لكني ما ظننت أنك ما زلت حاقدة. لقد وثقت بك فإذا بك لا تحترمين العقد الذي..

- أبي أرجوك عمَّ تتكلم؟.

- لا تدعي الغباء. لقد تناولت الغداء اليوم مع هنري بيشوب الذي أخبرني مسروراً عن محاولتك إقناعه بإرجاع ديك كاليهان إلى الشركة ليرعى مصالحه فيها. كما وصف لي مدى إلحاحه وضغطه على نيل ستينال ولم يكتف بذلك بل أخبرني بأمثلة أخرى عديدة عن نشاطك..

واحمرّ وجه والدها بالغضب. ثم تابع:

- نشاطات تعارض كل بنود الاتفاق الذي وقعته مع نيل ستينال. ولكن، أشكر الله أن هنري بيشوب لا يعرف ذلك! وكان علي أن أجلس معه وأنا أبتسم في وجهه وهو يخبرني عن المسامير التي كنت أنت، ابنتي، تغرزينها في مصداقيتي وأخلاقي!.

اختفى الدمّ من وجه ترودي وأبرها يصيح بها:

- يحق لنيل أن يرفع دعوى بسبب الأضرار التي ألحقتها به.

أقفل فمه بتجهم مؤلم وهو يهز رأسه وكأنه لا يستطيع التفكير بنتائج عملها الوخيمة.

- أنا.. أنا لم أقرأ عقدكما يوماً.

ربما ذلك ليس عذراً. لكنها لو كانت تعلم بنود العقد لما أقدمت على ما فعلته ولو في سبيل المطرودين السبعة والعشرين. غاصت في أقرب كرسي منها، وهي تشعر بأن ساقيها لا

3tt3.net

تحملانها. وقالت هامسة:

ـ أنا آسفة... آسفة...

ـ المال لا يهمني.. بل العار الذي سيخلّفه عملك! أسمعتِ.. لقد تعاملت دائماً بصدق وأمانة..

بدا وكأن يأس العالم رهن اسمها لذلك أحنت ترودي رأسها وقد أثقله الشعور بالذنب. وما ضاعف إحساسها بالذنب أن ليس بيدها وسيلة لمحو ذنبها.

في هذه اللحظة تذكرت وجه نيل ستينال الذي بدا أنه يخبىء شيئاً ما والآن فهمت ما يخبئه إنه تلك القدرة على سحقها وسحق والدها.

لماذا لم يقل شيئاً وما غايته من ذلك؟ أكان يريد أن يطوّقها بحبل المشنقة بإحكام؟.

ـ أنا الآن لا أستغرب امتناعه عن الاتصال بي وبجويس طوال هذا الأسبوع.

ـ لقد كان في مكتبي بعد ظهر اليوم... وقال إنه يريد إعادة توظيف أربعة ممن طردهم بعد أن أجبرته على إعادتهم وبعد أن ألزمته بدفع تعويض لهم مقداره ثلاثة أشهر ولم أكتف بذلك بل طالبته بدفع عمولة تساوي نسبة تعويضهم.

ـ يا إلهي!.

كانت الصرخة أسوأ من أي اتهام وكان تنفسه حاداً، رفعت رأسها خوفاً من أن يكون قد أصيب بنوبة قلبية. فكان أن قابل نظراتها بعينين سقيمتين:

ـ إذاً، أخبريني عن الأسوأ يا ترودي.. ماذا حدث أيضاً؟.

أخذت تسرد عليه تفاصيل ما حدث ووجهها يحترق. هزّ

والدها رأسه ثم قال لها:

ـ إنه يتركنا نهرب من الفخ لأجل جويس، وسيدفع... حتى دون أن يخبرني... ويتركك تنجين بفعلتك، عن قصد. ألهذا لم يتصل بي؟! إن ما حدث لا يصدق.

نظر إليها.

ـ لن تتمادي أكثر! هل تفهمين يا ترودي؟ هذه نهاية عدائيتك لنيل ستينال! ولو أكثرت من...

ـ ما من مزيد! أعدك. لن أفعل شيئاً قد يؤلمك يا أبي. صدقني لم أقصد أذيتك.

انهمرت دموعها غزيرة فتنهد وذاب غضبه عندما رأى وجهها الباكي:

ـ ترودي... (ناداها ثم رفع وجهها إليه).

قالت منتحبة:

ـ أنا آسفة.. سأعيد له المال.. سأ...

ـ لا!.

تنفس نفساً عميقاً، وأخذ يتكلم ببطء متعمداً ليتأكد من فهمها للرسالة:

ـ لن تعيدي المال يا ترودي.. لا تخبريه أنك تعلمين الوضع. لقد ضحّى بكل ذلك كرامة لجويس، فاتركي الأمر كما هو. فالرجل يريد لنا خيراً لذا أنا أزداد به إعجاباً يوماً بعد يوم. أما الطريقة الوحيدة للحفاظ على ماء الوجه فهي احترام الرجل والتعامل معه بتهذيب.

ردت هامسة:

ـ أجل...

3tt3.net

ـ ثمة أمر آخر عليك فعله ألا وهو مرافقتنا إلى منزله الريفي لقضاء نهاية الأسبوع التي طلبها وعليك أن تكوني ضيفة لبقة مهذبة لا ترتكب الحماقات. لم أطلب منك شيئاً من قبل يا ترودي، أما الآن فأنا أطلب بإلحاح إطاعتي فهل هذا واضح؟.

ـ أجل.

ـ كل ما أرجوه أن تحوز جويس على رضاه.

أغمضت عينيها وهي تشعر بالترنح وبإغماءة طفيفة تجتاحها. لكن والدها أسرع إليها ليمسكها من كتفيها معتذراً لها بكل رفق:

ـ لقد قسوت عليك يا عزيزتي. سامحيني لقد كانت غلطتي لم أنتبه لما أنت مقدمة عليه...

ـ إنها غلطتي يا أبي. كيف ارتكبت ما ارتكبت. لقد أفسدت بذلك هناءك بالتقاعد مع العلم أنني ما كنت أريد لك سوى الخير.

ضمها بحنان بين ذراعيه، ثم أخذ يمسح شعرها.

ـ ربما.. لو اختفيت...

ـ صه يا عزيزتي... ستحل المشكلة يا حبيبتي، جففي دموعك يا صغيرتي.

أعطاها منديله كما كان يفعل آلاف المرات عندما كانت طفلة. جففت وجهها، ونفخت أنفها، وهي تفكر بأن كلماته لم تتضمن العزاء الحقيقي، إنما الحب الذي لا تستحقه إطلاقاً. لكنها ستسعى لتحقيق ما يريده.

وفجأة، أصبح ما يريده نيل ستينال من الحياة أحد أكبر اهتماماتها.

٧ ـ في قبضة القدر

أمضت ترودي معظم الوقت يوم السبت في تثبيت السيد تومسون حيث أرادته، وساعدها هذا على إبعاد تفكيرها عن أشياء لا تحمل السعادة.

ولم تجد ترودي صعوبة في إشراكه في مشروع المزاد العلني بإشراف فيثيان التي تجاوبت معه. وكم تمنت ترودي أن يكون لطهوه جودة طبق السمك الذي ذاقته.

بعد اليوم، مهما كان الأمر أو مهما كان شعورها تجاه نيل ستينال فإن عليها الالتزام بما قرره والدها وهي لن تخذله ثانية مهما حدث.

عندما رأت أختها الجميلة تُعد نفسها للخروج ليلة السبت ساورتها مشاعر متضاربة. فهل أصبح كل شيء على ما يرام كما يريده نيل، أم أن جويس على موعد مع رودني جوردن؟ أرادت أن تعرف الحقيقة، علماً أن الاحتمالين لن يُشعراها بالراحة.

أسرعت إلى غرفة نوم جويس حيث راحت تلقي عليها الأسئلة:

ـ إن هذا الثوب رائع عليك.

3tt3.net

ابتسمت جويس:

ـ شكراً لك يا ترودي. أعجبني هذا الصباح فاشتريته.

ـ هل سيأخذك نيل إلى مكان خاص؟.

التقطت جويس فرشاة شعرها وبدأت تمررها عبر الخصلات الطويلة.

ـ في الواقع إنه خارج المدينة هذا الأسبوع.. في عمل، كما قال.

ازداد شعور ترودي بالذنب وازدادت معدتها تقلصاً:

ـ إذاً مع من ستخرجين؟.

ـ سأذهب إلى حفلة مع بعض الأصدقاء.

توقفت جويس عن تمشيط شعرها فجأة فالتفتت إلى ترودي لتسألها:

ـ ترودي.. أيهمك أمر نيل؟.

ـ طبعاً يهمني بعض الشيء خاصة وأنك ستتزوجينه...

ـ لا أعني هذا النوع من الاهتمام. إنّما.. الانجذاب...

كان سؤالاً محرجاً أكثر من السؤال الأول. لكن ترودي استطاعت أن تجيبها بصدق جزئي.

ـ إنّه لا يوافقني. لماذا تسألين؟.

ـ إنها ليست أكثر من فكرة. لقد كنت تتصرفين بغرابة تلك الليلة عندما دخلتِ تسألينني عنه وذلك المشوار في حديقة الورود...

فقالت ترودي بحدة:

ـ لكنني شرحت لك الوضع يا جويس.

ـ أجل.. حسناً.. الأمر لا يهم. هل ستأتين معنا إلى منزله

في الأسبوع القادم؟.

ـ أجل.. لقد أقنعني والدي بضرورة الروابط الأسرية، وطلب مني حسن التصرف.

ـ أنا سعيدة لأنك سترافقيننا.

لكن ترودي لم تكن سعيدة، لأنها تكره فكرة وجودها في منزل نيل.

كانت ترودي تجبر نفسها لئلا تسيء الظن بنيل، وتحاول ألا تعبأ بذهاب وإياب جويس الذي كثر. فيكفيها القلق الذي يساورها بسبب تفكيرها بالطريقة التي يجب أن تعتمد في التعامل مع ستينال الذي سيأتي إلى مكتبها يوم الثلاثاء.

بعد الساعة الرابعة مباشرة من بعد ظهر الثلاثاء، وصل نيل ستينال إلى مكتبها، دقَّ الباب قبل أن يدخل هذه المرة. فقفزت ترودي عن كرسيها لتقابله بكل لطف وترحاب. لكن لسانها انعقد دون إرادتها إذ لم تستطع التفوه بكلمة. أما هو فقد نظر إليها نظرة نهمة وكأنه جائع لرؤيتها، لكنها عادت فأبعدت هذه الفكرة عنها لأن ذلك مناف للمنطق.

ـ مرحباً (قالت له بضعف).

ـ أعتقد أنني لم أزرك في وقت غير مناسب.

ـ لا إطلاقاً... استرح لو سمحت لأُرِيك دفاتر الشاحنة.

ـ شكراً لك.

مَدَّ يده إلى جيبه فأفسد بعمله ذاك سرورها الشديد برؤيته.

ـ الشيك! فكرت بما أنني قادم إلى هنا، أن أسلمك إياه بدل البريد.

أمسكت الشيك وكأنها تمسك حية سامة بيدها التي ارتجفت

3tt3.net

بشدة من الخجل الذي يغمر كيانها كله.

ـ في الأمر خطب؟.

ـ أنا... لم أدرك قيمة المبلغ الكبيرة، ربما بالغت في طلب العمولة. فأنا لست ممن يجيدون الحساب، ربما أملك أفكاراً مفيدة لكن... لماذا لم تطلب تخفيض الثمن؟.

ـ يناسبني أن أدفع ما تطلبينه.

يا إلهي إنه يدق مسماراً آخر في النعش. وهذا الشيك ما هو إلا دليل ثابت على ما فعلته. فقالت في محاولة ثانية، وفي عينيها رجاء.

ـ أعتقد أنني بالغت قليلاً.

ـ لا.. إطلاقاً، لا تنسي أن تضعيه في حسابك قبل الذهاب إلى المنزل.

وهذا ما سيدينها مئة في المئة. ومع ذلك فلا تستطيع قول شيء. لئلا تعارض تعليمات والدها.

ـ سأحاول أن أتذكر.

دفعت إليه الدفاتر، فجلس ليراجعها ثم انهمرت الأسئلة عن العمل فساعدتها على التركيز على أمور أقل إزعاجاً. بعد أن راجع الملف جيداً رفع إليها وجهه وقد ارتسمت عليه بسمة دمرت كل تركيزها السابق:

ـ لقد أثبت شيئاً واحداً، أنت بالتأكيد قوية في أفكارك. وبإمكانك دفع الأعمال قُدُماً، وأذكر أنك قلت ان لديك أفكاراً كنت تريدين تطبيقها على شركة النقل لو أن رونالد اختار أن يسلمك إياها.

ـ أجل.. فميدان النقل قد بدأ يصبح ثورياً.

ـ كيف؟.

أخذت تعرض له بعض أفكارها لتريح ضميرها بشأن المبلغ الذي أعطاها إياه عمولة. كان يستمع إليها وهي تشرح له نظرياتها وسبل تطبيقها. وعندما انتهت، تمنت لو أنها تملك المزيد من الأفكار لتقولها له، لكنه بدا مكتفياً تماماً بما تعلّمه منها حتى الآن.

ـ أتعلمين أنا أرى أن رونالد قد ارتكب خطأ كبيراً عندما لم يطلق يدك لتحقيق أفكارك. لكنه أيضاً على حق بشأن زواجك في المستقبل.

ـ أنت تعيش في دنيا الأحلام! ما من أحد يمكنه إقناعي بالزواج ثانية.

ارتفع حاجباه:

ـ أخبريني لماذا لا. ما السوء في أن تكوني زوجة؟.

فنظرت إليه نظرة ساخرة:

ـ يجب أن أكون معتوهة لأقبل بهذه الفكرة فالأزواج يريدون من زوجاتهم كل شيء وهم يسيئون استخدام ما يقدمنه. أضف أنني لن أترك استقلاليتي التي أريدها بقوة. فها أنا عصفور ينتقل حيث يشاء ومتى يشاء وكيفما يشاء ويفعل ما يشاء. والذي يقدر أن يقدم لي أكثر من ذلك قد أقبله زوجاً.

ـ كما قلت لك سابقاً إنك اخترت الشريك غير المناسب. ولكن مع الشخص المناسب...

كان يمعن النظر فيها، تقيمها عيناه تحدجها نظراته حتى أحست ترودي بالرعب من الوقوع في الفخ. أرادت أن تصرخ في وجهه، أن تمنعه من متابعة هذا الكلام، لكن بما أنَّ عليها مهادنته

3tt3.net

قالت:

ـ أنا في كل الأحوال زوجة سيئة لأنني لا أجيد الطهو ولا أحسن الغسيل ولا أنفع لتربية الأطفال أو لرعايتهم.

ـ لماذا لا تنفعين في تربية الأطفال ورعايتهم؟.

ـ ليس لدي صبر جويس غير المحدود. وهم لا يناسبون نمط حياتي، وقد يحدث أن أصبح مجنونة بسببهم وبسبب عدم قدرتي على تقديم الوجبات والملابس النظيفة لهم.

ـ أعتقد أنك ستكونين خير أم عندما تقررين الإنجاب.

فنظرت إليه دهشة:

ـ ألم تسمعني؟ لست أهلاً لتربيتهم! فأنا لا أحب التعايش مع الناس.

التوى فمه ببسمة ساخرة:

ـ كيف تقولين ذلك وأنت من وضع على كاهله مستقبل سبعة وعشرين موظفاً بالمناسبة كم غدا عددهم؟.

ـ اثنا عشر، ولكن هذه ليست القضية الآن.

أصابت سهام بريق الانتصار السري في عينيه تروودي في الصميم عندما وقف دليل انتهاء محادثتهما، وهذا ما ذكر تروودي بالسيطرة التي يملكها عليها.

ـ أنا في غاية الشوق للقائك في عطلة الأسبوع.

وقفت تروودي أيضاً:

ـ نيل... أتريدني حقاً في منزلك؟.

ـ نعم، طبعاً، طبعاً فالله أعلم بالتغييرات التي قد تحدث لحياتنا؟ فربما نعلن عن أمر أو أمرين في ذلك الوقت.

ـ هل ستعلن الخطوبة أنت وجويس؟.

ـ لماذا تظنين ذلك؟.

ـ يعتقد الجميع ذلك.

ـ ليس لدي فكرة عما يفكر فيه الجميع. أما ما أفكر فيه فلا أبوح به حتى يكون الوقت المناسب.

تركها وخرج، فبقيت حيث هي وقد ساورها إحساس قوي بأن سيف النقمة مسلط فوق رأسها، منتظراً الإشارة المناسبة من ستيال لينقضّ عليها. لكن شيئاً واحداً كانت متيقنة منه ألا وأن نيل ستيال لن يؤذي والدها لأنها ستحارب بشراسة لئلا يحدث ذلك. والوسيلة الوحيدة أمامها هي معرفة ما سيعلنه في العطلة.

عملت تروودي بجد في الأيام التالية لتبعد نفسها عن أي شيء آخر قد يقلقها وقد استطاعت خلال هذه الفترة توظيف أربعة عمال وبذلك انخفض العدد إلى الثمانية.

تحدّد موعد المزاد العلني بعد أربعة أشهر وقد حجزت لهذا الغرض صالة الرقص في فندق امباسدور الفخم، أما ڤيڤيان فقد أعلنت حالة الاستنفار في الجمعية الخيرية كلها فوضعوا لائحة بأسماء المدعوين الذين سيدعونهم الأسبوع القادم.

ظهر يوم الجمعة أقفلت المكتب، بعد أن قررت قضاء بعد الظهر في سبيل إنجاح مشروعها.

ولم تكن دوريس غودريك لتمانع أبداً في الانضمام لتروودي براند للحصول على غداء مجاني. وأعطتها تروودي دعوة، ونسخة عن البرنامج، فدوريس هذه أمهر من كتب في حقل الإشاعات.. فهي من رفع بعض رجال المجتمع ومن حطم بعضهم، وكان

3tt3.net

لترودي في نفسها مكانة خاصة لأن ترودي من الشخصيات النادرة القادرة على إحداث تغيير ما عندما تريد.

ـ أحتاج لمساعدتك يا دوريس، وفي المقابل ستحصلين على أكبر قدر من المرح في حياتك.

ـ أخبريني..

وشرحت لها ترودي كل شيء، فقهقهت دوريس حتى كادت تختنق.

ـ أحب هذا.. والآن دعيني أفهم.. ما تريدينه بالضبط.

ـ لا أريد أي تشويه أو تشهير أو عمل يجر إلى المحاكم إنما أريد خبثاً متعمداً.

ـ هو لك يا عزيزتي.

ابتسمت دوريس.

ـ سوف يجعل هذا من الجميع متوتراً.. نريد أن نثير في الناس بعضاً من الاعتداد في النفس. أشخاص لديهم استعداد في رمي أموالهم، وحساباتهم في البنوك...

ـ سهلة المنال!.

ـ علينا أن نحرك روح المنافسة بينهم حتى يرغبوا جميعاً في أن يظهروا رابحين.

ـ اتركي الأمر لي يا عزيزتي. اعتبري الأمر منتهياً وفي الواقع قد يغيرون اسم هذه الليلة في السنوات القادمة الى «ليلة المسرفين الكبار».

صححت لها ترودي التسمية:

ـ بل الى «حمام دم ملوك المال».

قهقهت دوريس مرة أخرى بقوة.

عندما وصلت ترودي الى بيتها تلقت من جويس خبراً صاعقاً أطلقت عليه اسم «الضربة القاطعة».

عندما سمعت ترودي هذا الخبر صرخت في وجه شقيقتها، والصدمة تكاد تقضي على نبرة صوتها العالية.

ـ يا إلهي ماذا فعلتِ؟.

ـ لقد اضطررت!.

لوت جويس يديها المتشابكتين ثم أخذت تذرع غرفة ترودي بعصبية وعيناها العسليتان الكبيرتان تستجديان تفهم ترودي وموافقتها:

ـ أرجوك ترودي، لقد وقعت في حبه... ولن أطلب منك سوى دعوة رودني جوردن رفيقاً لك في نهاية الأسبوع أما بالنسبة لنيل فهو لن يعترض على صحبتك له إطلاقاً.. وأنا أعدك أنني ورودني سنبقى حتى أعترف لنيل بالحقيقة.

ـ وبعد ذلك ماذا سيحدث لنا؟ أنا ووالدنا؟.

أرعبها التفكير بنيل ستينال الذي سيغضب للمهانة التي سيتعرّض لها.

ـ أوه يا ترودي! أنت قادرة على معالجة الأمر. أعرف أن لوالدي ونيل أعمالاً مشتركة، إنني واثقة من أن نيل لا يحبني لذا لن يضيركما البقاء.

ـ ما الذي يؤكد لك أن نيل لا يحبك؟.

ـ لأن رودني يحبني.

قالت ترودي بحدة:

ـ وهل للأمرين علاقة؟.

3tt3.net

ـ أنا لا أناسب نيل يا ترودي لأن لكل منا أسلوبه في الحياة، لكنني ورودني متفقان متلائمان. يؤسفني أن أدع نيل يفلت من يدنا لأن على إحدانا الحصول عليه. ألا يهمك الأمر؟.

انفجرت ترودي قائلة:

ـ لا! كيف تصفين نيل وكأنه صفقة رابح؟ إنه رجل بكل ما للكلمة من معنى.

تنهدت جويس:

ـ بالضبط... إنه لا يحتاجني... بينما رودني يحتاجني.

ـ هل يوافق رودني جوردن على هذه... هذه.

وجدت ترودي نفسها للمرة الأولى غير قادرة على نطق ما تريد.

ـ رودني قال إنه سيفعل أي شيء من أجلي، كان عليَّ أن أعلم نيل لكنني لم أستطع إعلامه بوضعي الجديد عبر الهاتف فهو لم يزرني منذ الحفلة. ولذلك ليس أمامي سوى أن يصحبك رودني إلى الحفلة ولا تنسي أن صحبتك إياه ستعطيك فرصة التعارف أكثر.

ـ أنت لا تتركين لي خياراً.

أسرعت جويس لتحتضنها:

ـ كنت أعلم أنك لن تخذليني يا ترودي.

ما هذا الوضع الذي وصلته. عليها ألا تخذل والدها وألا تخذل جويس وفوق ذلك كله ألا تخذل نيل ستينال فهل عليها إغواؤه؟.

حتى الإغواء لن ينفع، لأنها لن تكون بالمستوى المطلوب.

ألم يعطها اثنين وتسعين علامة على عناقهما السابق؟.

شعرت وكأنها تقف أمام فوهة بندقية فما العمل؟.

* * *

3tt3.net

٨ ـ رجل لا كالرجال

لم يكن الصباح في اليوم التالي مشرقاً، لأن السماء أنذرت بالعاصفة. كانت ترودي تتناول فطورها وهي تشعر وكأنها المرة الأخيرة التي ستتمتع فيها بوجبة طعام.

راحت أثناء جلوسها إلى المائدة تقرأ الأبراج التي لا تؤمن بها ولكن هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها حدتها إلى طلب العون من أي شيء إلا أن هذه الأبراج لم تنبئها بخير لأن برجها كان يقول:

«ثمة مفاجآت كثيرة هذا اليوم. قد تكثر اتصالاتك وقراراتك وربما قمت ببعض النزهات، لكن احذر المشاكل وإياك الوقوع فيها قبل أن تجد بديلاً يريحك. حظك اليوم جيد لا تعرف من أي الطرق يأتيك».

«بديل يريحك» هنا تكمن العقدة. فمن أين لها هذا البديل؟ وكيف ستجده بعد أن يصل غضب نيل إلى الذروة نتيجة قرار جويس... طغى التشاؤم على تفكير ترودي، فآخر شيء قد تريده هو التسبب بالمشاكل لذا عليها الآن أن تبذل قصارى جهدها لئلا تقع في ما لا تحمد عقباه.

قال لها والدها وهي تضع الجريدة من يدها:

ـ لقد قالت لي جويس انك لن ترافقينا.

نظرت إليه لتجد تقطيبة قلقة على وجهه فحوّلت بصرها إلى جويس، التي وضعت على وجهها تعبيراً بريئاً.

ـ لعل جويس أخبرتك أنها من اقترح فكرة الإتيان بصديق.

قد تؤازر أختها لكن هناك حد تقف عنده.

قالت جويس برعونة:

ـ لقد وافق نيل يا أبي.

لم يشرق وجه أبيهما.

ـ من هو رودني جوردن هذا يا ترودي؟ هل قابلته من قبل؟

ـ لقد كان في حفلتنا يا أبي ولا بد أنك تعرفت إليه.

ـ نعم الآن تذكرته.

كان رونالد وجويس قد غادرا في الوقت الذي وصل فيه رودني ليصحب ترودي. بدا لها خلال ذهابهما أن رودني زوج يناسب أختها أكثر من نيل ستينال، لكنها مع ذلك كانت تشعر بالانزعاج لأن الوقت الذي اختارته جويس لإعلان خبر حبهما غير مناسب. خلال الساعتين اللتين استغرقتهما الرحلة اضطرت لسماع مديحه لجويس وشكره على تعاونها. لكنَّ مزاجها لم يكن يسمح لها بالإنصات فنفسها حزينة خشية من القنبلة الموقوتة التي قد تنفجر في أية ساعة.

عندما وصلت إلى المكان المنشود ملأت الفرحة قلبها لأن الجو انقشع والشمس شعت. كانت الڤيللا التي أُطلق عليها اسم «غرين فيلد» رائعة تلتف حولها المروج الخضراء، بينما تقف هي

3tt3.net

بشموخ. شعرت ترودي بالكآبة تبتعد عن نفسها وكيف لا يحدث ذلك وهي ترى هذا الجمال الذي صنعته يدٌ موهوبة:

الأشجار رائعة، الحديقة تشتعل فيها الألوان البراقة، أما المدخل الذي تظلله النباتات المتدلية والداليات الخضراء فيقود إلى بناء أبيض ضخم يتألف من طابقين، أمامه بهو ترتفع فيه الأعمدة الفخمة الساحرة.

تذكرت ترودي ما قالته جويس عن نيل في مرات متعددة فهو ينحدر من عائلة ثرية عريقة، ورث عنها هذه الأملاك بعد وفاة والديه اللذين لم ينجبا سواه، كان وحيداً في هذا العالم. لكن أيعقل لمن يحيا في هذا الترف كله أن يشعر بالوحدة؟ لن تخسر جويس الكثير بزواجها من رودني فهو أيضاً يملك أموالاً طائلة ورثها عن والديه هو وأخوين له.

وضعت يدها على ذراع رودني تحذره بلطف:

ـ قد تحدث أشياء غريبة في هذه العطلة.

ـ أتوقع ذلك.

تنهدت ترودي. بعض الناس يستسلمون بسهولة لذا عليها أن تدعمه قليلاً. فيجب أن يتعلم كيف يقاتل من أجل جويس فلن تكون هي معهما بعد أن يتزوجا لتقوم بالدفاع عن أختها.

ـ رودني... لكل إنسان فرصة في الحياة وهذا الأسبوع هو فرصتك... فاغتنمها. لئلا تندم طوال حياتك، تذكر ما أقوله جيداً وكن مقداماً في انتهاز الفرص لكن حذار الجبن.

ظهرت على ملامحه دلائل التصميم التي حدتها إلى أن تصمم

هي أيضاً على الوقوف بثبات كي تساعد نيل، في التغلب على الجرح الرهيب الذي سيعاني منه، بكل ما أوتيت من مقدرة.

كان ترودي ورودني على وشك صعود الدرجات إلى المنزل عندما تعالت تحية من الناحية الأخرى. انفصل أثرها نيل ستينال الذي تبعته جويس بسرعة، عن مجموعة من الضيوف، كان يريهم الحديقة. كان يسير بسرعة حتى كادت جويس تركض لتتابع خطواته.

تمنت ترودي أن لا يظهر على وجه رودني ذلك الشغف الذي ظهر على وجه جويس، والذي يفضح مشاعرهما دون أية كلمة.

لكن من حسن الحظ أنّ نظر نيل كان مستقراً على ترودي التي سارعت لتقدم له ابتسامة مثيرة أبقت نظراته منصبة عليها. وكم سرّت عندما وجدت أنها قد نجحت في جذبه إليها خاصة وأنها ترتدي بهذه المناسبة ثوباً خطف منه أنظاره. كان ثوباً أخضر موشحاً باللون البرتقالي أظهر روعة بشرتها التي لوحتها الشمس. ولم تكن قد ارتدته في الواقع لجذب انتباهه إنما لترفع من معنوياتها. لم تمانع إطلاقاً هذه المرة في أن يتأملها بل لم تمنع نفسها من أن تبادله نظراته وقد ظهر لها مثيراً جذاباً إلى أقصى حد حتى كادت تشك بقدرات أختها العقلية فكيف تترك رجلاً كهذا؟

حيته والبسمة تضيء وجهها:

ـ إنه مكان مدهش!.

وضعت ذراعها في ذراعه بود ودلال فليس الوقت الآن وقت التراجع بل العمل. أضافت وقد برقت عيناها:

ـ أخبرني والدي أن رئيس عمال الحدائق قد خدمك ووالديك

3tt3.net

مدة أربعين عاماً.

ـ أجل.. فهذا الذي ترينه من إبداعه.

أخذت عيناه تدرسان عينيها وكأنه يشك بهذا الود وهذه البسمة لكنه بدا لها لا يريد أن يدع ذراعها تبتعد عنه لذلك احتوتها ذراعه وأحكم الإمساك بخصرها عندما التفت ليرحب برودني بكل تهذيب. أحست ترودي بالراحة لأن جويس ملكت نفسها قليلاً فلا يليق بها أبداً ترك عنان مشاعرها أمام نيل.

اغتنمت ترودي فرصة تعارفهما لترفع حاجبيها متسائلة لكن جويس هزت رأسها بتوسل.

إذاً الوضع على حاله ونيل يجهل الحقيقة إلى الآن وجويس تطلب عونها. لكن كيف السبيل إلى التعامل مع نيل ستينال الذي يصعُب إقناعه أو إرضاؤه.

حيا الرجلان بعضهما بدماثة لكن عندما عرف نيل رودني الذي التقاه في حديقة الورود ليلة الحفلة، رمى ترودي بنظرة ماكرة مليئة بالتساؤل. لقد كان ينوي شيئاً، ويعلم أنها تنوي شيئاً، لكنه كان مقتنعاً أن عليه ترك كل شيء على حاله.

تنفست ترودي الصعداء والبسمة لا تفارق وجهها.

عندما اقترح نيل بنعومة أن ينضموا إلى ضيوفه الآخرين بغية مشاهدة الحديقة، ساروا جميعاً معاً: جويس برفقة رودني بقصد أو بغير قصد وترودي مع نيل الذي أبعدها عنهما عمداً ليقول لها بصوت خفيض:

ـ لقد سمعت عن نساء يتابعن ارتكاب «الخطأ بعد الخطأ» في اختيارهن لمن يقمن علاقة معه، ولكنني كنت أظنك أذكى منهن يا ترودي.

حدقت فيه بحدة، وقد فاجأها كلامه لذا سألته:

ـ وما هو الخاطىء في اختياري الرفاق؟.

حدقت عيناه فيها:

ـ يبدو أن زوجك السابق مسؤول عن الكثير، وهذه مسألة أرغب في أن نغوص إلى أعماقها. ولكن، مهما كان قد حدث لك إلا أن ذلك لا يعطيك عذراً في اختيارك هذا المدلل الذي أظنك قد سئمت منه.

استغلت هذه الفرصة الذهبية فقالت له وعيناها تبرقان.

ـ أنا سئمت منه كما سئمت أنت من جويس. أتعلم أن مشكلتنا واحدة؟.

وقف حيث هو، وقد بدا عليه سكون غريب غالباً ما حدث معه كلما حدّثها. فهل صدمته حقيقة كبيرة؟ أم أنها جرحت مشاعره بعمق! يصعب التكهن عندما يتعلق الأمر بنيل ستينال لذا كان عليها انتظار ردة فعله وهكذا وجدت قلبها يخفق بقوة عندما تفوه ببضع كلمات وفي عينيه نظرة حذرة.

ـ هل تقولين ما ظننت أنك تقولينه يا ترودي؟.

كان سؤالاً تصعب الإجابة عنه، فردت قائلة:

ـ لا أعلم بما تفكر. لكن باختصار أستطيع القول إنك لا تناسب جويس وأنا لا أناسب رودني، قد تكون جويس زوجة مطيعة محبة تنجب لك ما تريد من الأطفال. لكنك أنت لا تقنع بذلك فقط.

وتوقفت عن الكلام، ثم، وبكل عزم وتصميم، رمت في وجهه الكلمات:

ـ هيا اعترف.

3tt3.net

لاح فوق شفتيه طيف ابتسامة غريبة اختفت عندما قال:

ـ لقد فكرت فعلاً بموضوع الزواج. لكني أفهم من قولك أنك لا تنصحيني بجويس عروساً للمستقبل.

ليس أمامها خيار فما العمل؟ تباطأت وهي تقول:

ـ جويس امرأة رائعة، طاهرة ستكون خير زوجة للرجل المناسب لكن لك أنت.. لتكن صريحين.. ستضجر منها بعد ستة أشهر.. سلني عن ذلك فقد مررت بهذه التجربة سابقاً.

التمعت في عينيه ومضة اهتمام جدي. وبدا أن الطريقة التي يسير فيها هذا الحوار قد أعجبته:

ـ إذاً، أنت ترشحين امرأة أخرى أشجع وأقدر.

ـ بالتأكيد!.

ـ امرأة جريئة لا يمكن التنبؤ بتصرفاتها، فاتنة ساحرة...

بدا أنه يُصعِّد الحوار رويداً رويداً فآزرته ترودي على ذلك.

ـ هذا ما أنت بحاجة إليه. شخص يثير اهتمامك.

ـ فهمت...

صمت مفكراً، فسمحت له ترودي بذلك كي يستوعب الحقيقة، وبعد أن توصل إلى قرار:

ـ أظن أنك على حق، وهذا دهاء منك. أرى أنك قد فهمت شعوري تجاه جويس.

ـ وكيف أفهم ذلك؟ أتذكر قولك لي: «ما أفكر فيه أو أشعر به لا أكشفه حتى يكون الوقت المناسب» لكن جويس شعرت بذلك.

ـ وهل جرحت مشاعرها؟.

سؤاله كان يحمل اهتماماً أظهر فيه إنسانية إضافة إلى عقله

الآلي.

وردت ترودي بخفة:

ـ لا إطلاقاً فهذا لا يعني لها شيئاً.

نظر إليها بعمق مفكراً ثم تنفس عميقاً وهو يطلق افتراضاً:

ـ إذا كانت مشاعرها قد ارتبطت بإنسان آخر لا يجدها مضجرة... رجل تشاركه اهتماماته..

توقف قليلاً، لينظر حيث وقفت جويس مع رودني قرب شجرة «زان» نحاسية اللون رائعة، وهما في غاية الانسجام يبديان الإعجاب بألوان أوراقها.

أعاد بصره إليها ثم تابع:

ـ رجل ما.. كرودني جوردن... الذي برفقتها في هذه اللحظات.

ـ نعم ربما فهما متلائمان ولعلنا نحسن صنيعاً لو تركناهما وحدهما.. فأنا أعتقد أنك بذلك تصبح حراً طليقاً.

ـ... لأبحث عن امرأة تبعد عن حياتي الملل

ـ بالضبط!.

ـ أتعلمين أن هذا ما يروقني؟ ألن يتألم أحد لو أننا.. آه... تركنا جويس ورودني وسعادتهما؟.

ـ واثقة كل الثقة.

ـ آه...

تنفس الصعداء فابتسمت ترودي لأنها نجحت في إعلاء دون أن تجرح كبرياءه لكن ما غفا عنها أن عينه تراقصتا أمامها عرفاناً بالجميل

ـ أرجو منك قبول اعتذاري لما قلته عنك في السابق.. فأنت

3tt3.net

امرأة ذكية جداً يا ترودي براند. وبما أنني أفكر في هذا الآن، أراني لا أجدك امرأة مملة أبداً.

غلى الدم في عروقها حاراً، فتصاعدت دماء الخجل إلى وجنتيها لأنها لم تنتبه إلى أنه قد اعتقد أن نصيحتها كانت في سبيل ترشيح نفسها وأحرجها أكثر اعتقاده بأنها في غاية الشوق لتحلّ محل أختها في قلبه.

ـ نيل...

كادت تقول له إنه أخطأ في فهم دوافعها، ولكنها وجدت نفسها تتجاوب بضعف لسحر عينيه الدافئتين وللتحدي القائم فيهما. لم يثرها رجل كما أثارها هذا الرجل يوم عانقها فلماذا تجد ضيراً في التلاعب معه. أكملت كلامها:

ـ أنا أقبل اعتذارك.

ابتسامته زعزعت كل قراراتها بعدم السماح لرجل بدخول حياتها. فنيل ستينال يختلف عن كل الرجال. فإذا استثنت طريقة عناقه لها تجد أن أسلوبه في العمل وقدرته على التفكير وبراعته في التعامل تعجبها إلى حد كبير.

قال لها بلهجة منخفضة، ناعمة، بدت كأنها قد لامست بشرتها:

ـ إن وفاقنا يبعث الرضى والسرور إلى قلبي.

جذب ذراعها إليه بمودة متزايدة، ثم بدأ المسير ثانية عبر الأشجار.

ـ ثمة مناظر أخرى للحديقة أريدك أن تشاهديها.

أغراها عرضه إلى حد كبير، لكنها ليست من الذين ينسون مسؤولياتهم. فلا بد أن جويس متشوقة الآن لتعرف ما إذا كان

الإشكال قد حُلّ، ولن تستطيع تركها معلقة ما بين الأرض والسماء. أضافة إلى أن المنطق السوي يحدوها إلى التريث قليلاً لتمعن النظر في موقفها تجاه نيل. فالمشاكل التي أقحمت نفسها فيها أثناء اهتمامها بشؤون الآخرين لا تُعدّ ولا تحصى لذا الافضل لها التريث قبل القفز إلى دائرة اهتمامه.

ـ أحب كثيراً أن أرى كل شيء يا نيل.. ولكن ألا نستطيع تأجيل هذا إلى وقت آخر اليوم؟ قد يبدو من الفظاظة، بالنسبة لجويس ورودني، لو أننا تركناهما هكذا.. ثم لا تنسى ضيوفك الآخرين...

ـ يا لإهمالي! إنّ صحبتك الممتعة أنستني واجباتي، كمضيف. حسناً فلنؤجل ذلك إلى وقت لاحق.

لمعت عيناه بطريقة أوحت لترودي أنها قد وقعت في فخ. أحست بقلق لأن كل شيء قامت به إنما كان يخدم هدفه الخاص، وكأنما قد قادها إلى هذه النقطة. وهذا أمر جنوني! فهي من قامت بالقيادة! لكنها ربما، اندفعت أكثر من المطلوب مع العلم أنه ليس من سيّر الحديث لأنه لا يعرف شيئاً. ومع ذلك فهم كل شيء بسرعة مذهلة. مما لا شك فيه أنه رجل مخادع وعليها ألا تتبع هذا الانجذاب الذي تشعر به نحوه. فجوارحها تحذرها من مغبة الوقوع في المنطقة الخطرة. لكنها من جهة أخرى تريد أن تكتشف أغوار نيل أكثر، فلماذا تنكر على نفسها هذا الحق؟ إضافة إلى أن واجبها الاستئثار بهذا الرجل القادر على أذية والدها. جعل السبب الأخير ترودي تحس بالرضى على قرارها. وتشعر بأن معنوياتها قد ارتفعت.

3tt3.net

بدا رونالد، بطريقة ما، مستغرباً الوضع بأسره، فجويس مع رودني وترودي مع نيل الذي طوق خصرها بإحكام.

عندما اقتربت ترودي من والدها ابتسمت في وجهه لتبعث الاطمئنان إلى قلبه وفي عينيها وعد بأن تشرح له الوضع بعد أن تنتهي من موضوع جويس كلياً.

استمرت عينا جويس العسليتانِ تتساءلان وهي ترمق ترودي التي لم تستطع قول شيء أمام نيل لكنها استطاعت بطريقة ما إرسال إشارة نصر لها عندما غفل عنها نيل قليلاً. فكان أن ارتفع حاجبا جويس تعجباً.

رافق نيل الجميع عبر صف من الأبواب الحديدية الضخمة الايطالية التي تعود إلى القرن السابع عشر. كان يخبرها بذلك وهو فخور بالبوابات التي نالت إعجابها. لقد بدا في تلك اللحظات سعيداً بعالمه إلى حد كبير فالتوتر والتجهم رحلا بعيداً عن وجهه الذي غدا أكثر وسامة وهو في منزله وبين أملاكه. امتدت خلف الأبواب بركة سباحة ودالية عنب تظلل مساحة كبيرة فتمنع الشمس عن مجموعة كبيرة من المدعوين الذين تجاوز عددهم الثلاثين. كانت البركة الخضراء اللامعة تحمل لمسة «توسكانية»، فلم تستطع ترودي إلا أن تؤيده لشعوره بالفخر بهذا المنزل الذي لو كان لها لشعرت بالفخر نفسه. لقد جذبتها المناظر الممتدة أمامها حتى كادت تنسى اهتماماتها.

تقدمت جويس لتقول:

ـ أحتاج إلى «كريم» ضد الشمس.. هل يمكن أن تعذرني لبضع دقائق يا نيل؟.

ثم ابتسمت ابتسامة ذات معنى لترودي وقالت:

ـ هل ترغبين في غسل وجهك يا ترودي؟.

قادت جويس أختها إلى المنزل ثم إلى غرفة في الطابق العلوي، سألتها بإلحاح في اللحظة التي أغلقت بها الباب:

ـ كيف نجحت في حل المسألة؟

ـ بصعوبة فائقة، ولن يحدث هذا ثانية يا جويس.

ـ أنا متأكدة أنه لن يحدث! رودني على أحر من الجمر لطلب يدي. هل انزعج نيل؟.

اعتقدت ترودي أن عليها أن تلقنها بعض الدروس لتتحمل أعباء ونتائج أفعالها.

ـ لقد تلقى الأمر بصدر رحب وما زلت أحاول التخفيف عنه.

ـ أوه.. شكراً لك يا ترودي.

طوقت ذراعاها أختها بعاطفة وحب.

ـ أشكرك... أشكرك... أشكرك. لقد كنت دائماً أروع أخت في الدنيا، ولا أدري كيف أرد لك الجميل الذي طوقتني به عبر هذه السنين، والآن.. هذا...

وتنهدت ترودي بعمق:

ـ لقد أعدت لي الجميل بالفعل عدة مرات يا جويس.

ـ أوه يا ترودي، هذا لطف منك... لكنني..

ـ يا عزيزتي جففي دموعك هذه وزيني وجهك جيداً واخرجي لنيل السعادة أما أنا فسأهتم بنيل ستيفال.

ـ أعلم أنني أتوقع منك الكثير يا ترودي...

ـ لا عليك... فنيل بدأ يستحوذ على إعجابي وأنا أريد أن أستغل الفرصة لأقنع نفسي.

3tt3.net

ضحكت جويس بارتياح ثم دخلت إلى الحمام لتتبع تعليمات ترودي. أما ترودي فابتسمت لنفسها راضية، وهي تجلس على حافة السرير منتظرة خروجها ثم راحت تفكر بأختها التي سعت للتغلب على حزنها العميق على أمها. كانت في ذاك الوقت صغيرة السن لذلك أحست بفراغ كبير لفقدها. إنها فتاة رائعة تستطيع فعل أشياء كثيرة لا تستطيع ترودي أن تقوم بها. فلها قدرة على رعاية الأطفال وتجيد الطهو والقيام بالأعمال المنزلية إضافة إلى أنها حسنة المعشر طيبة.

لامت ترودي نفسها على قلة صبرها وقساوتها على جويس بشأن علاقتها بنيل ستينال، لأنها الآن فهمت ما كانت تشعر به من ضياع معه فهو رجل معقد جداً لكنها هي قادرة على التعامل معه بثقة وجرأة وهنا يكمن سر قوتها.

نقلتها أفكارها إلى نيل ستينال الذي يجد صحبتها ممتعة جذابة، ويجدها فاتنة ساحرة وبما أنها تجذبه كما يجذب الضوء الفراشة. فإنها لن تعترض فيما لو عانقها عناقاً آخر وإن كان العناق الثاني سيكون رائعاً كالأول فإنها مستعدة له لكنها بعد الانتهاء ستجعله يعترف بأن تقديره السابق ليس صحيحاً فالاثنان والتسعون علامة مجحفة بحقها.

ستجعله في نهاية جولتهما عبر الحديقة يتناول الحبَّ من يدها، بحيث لن يفكر لحظة بأن يقوم بعمل ضدها.

غمرت بسمة رضى وجهها الفاتن. فهذا اليوم الذي بدا مشؤوماً في الصباح غدا مشعاً جميلاً، فمشكلة جويس قد حلت

ومتاعب والدها تكاد تنتهي.. ونيل ستينال . حسناً.. إنها تزداد إعجاباً به.. لكن السؤال الذي لم يبارح تفكيرها أين سينتهي بها كل شيء؟.

* * *

3tt3.net

٩ ـ لا تقل أحبك!

عندما عادت إلى الحديقة وجدت أن نيل ستينال قد انتهز أيضاً الفرصة ليشجع رودني على المضي في التقرب من جويس. لقد بدا الشاب في قمة السرور وهذا يدل على نجاح مسعى نيل.

أطلق نيل نحو ترودي ابتسامة بعثرت أفكارها كلها وأبلغتها بأدل من الكلمات عن سروره وسعادته وإعجابه الشديد بها. هذا الإعجاب الذي جعل نبضاتها تتعالى إلى درجة لم يحدث أن وصلت إليها.

ربما كان السبب هو علمها أن السير مع هذا الرجل في أي طريق، قد يكون خطراً، فما من شك أن هناك عمقاً مخبئاً في نيل ستينال، ولكن ترودي لم تتوقف كي تتفحص مشاعرها. فقد كان التحدي يتراقص أمامها... يجرفها... دون أن تستطيع المقاومة!.

تقدم نيل ليمسك ذراعها بطبيعية وإلفة ثم شرع يدور معها حول أطراف البركة، يقدمها إلى كل الضيوف بطريقة توحي

بالتملك، وهذا ما جعل الجميع ينظرون إليها بتساؤل.

كان معظم المدعوين يعيشون في الجوار وهم من أبناء الطبقة الأرستقراطية التقليدية يرتدون ملابس قديمة الطراز، ويشيعون من حولهم جواً من الثقة نابعاً من معرفتهم بمكانتهم المميزة، راحت تحفظ أسماءهم فلعل بعضهم ممن يعاملون نيل باحترام ومحبة ينفعها للمزاد العلني.

عندما كانت تسير ونيل دون تكلف أو إدعاء لاحظت أن والدها يراقبهما وتقطيبة عميقة تعلو جبينه. في هذه الأثناء كانت جويس وورودني قد تهربا من التقديمات الاجتماعية ليغوصا عميقاً في عالمهما الخاص على طاولة صغيرة قرب البركة؛ شعر رونالد براند بالقلق مع أنه وجد أن لا انزعاج بادٍ على وجه نيل.

رأت ترودي أن من الإجحاف أن يشعر والدها بالتكدر منها فقط بسبب هذه التغييرات بل عليه أيضاً أن يسأل جويس التي هي أقرب منالاً منها في هذه اللحظة. عندما دنا والدها منها وطلب من نيل الانفراد بابنته استجاب له على مضض.

سألها رونالد وفي صوته لمسة ألم وحيرة:

ـ ترودي.. لست أفهم.. ليس من عادتك...

ـ لا تقلق يا أبي كل المسألة أن جويس ورودني مغرمان بجنون. وبحاجة لمن يمنع عنهما المداخلات، وأنا أقوم بهذه المهمة، وكما يبدو أن نيل لم ينزعج من الأمر.

ساور وجهه القلق والاضطراب وهو ينقل بصره من جويس إلى نيل، وأخيراً رد بصره إليها ليقول:

ـ لكنك لا تحبينه، ترودي لا يمكنك التلاعب بمشاعر وكرامة

3tt3.net

رجل كنيل.

ـ لا تقلق يا أبي، فكل شيء يجري على خير ما يرام.

اعترفت لنفسها أن ليس كل شيء على ما يرام لأن معدتها تتقلص بطريقة غريبة كلما نظر إليها، إنها تخشى المجهول.

ـ أنا لا أتلاعب بمشاعره يا أبي فأنا أزداد إعجاباً به كلما تعرفت إليه. وما أقوم به هو أنني أبدّل شيئاً يعتقد أنه كان يملكه بشيء يعتقد أنه أفضل. ومن يقول ان الأمر ليس هكذا؟ بدأت أعتقد أن الأمر قد يكون هكذا أفضل.

وبدت على والدها الحيرة:

ـ ترودي...

ـ أبي.. لقد اكتشفت أن الشيء الوحيد المؤكد في العالم هو أن لا شيء مؤكد في أي شيء، ففي الحياة احتمالات متعددة على الإنسان تحقيقها. وها أنا الآن أرى أن من المحتمل نجاحي مع نيل..

طبعت قبلة على خده لتخفف توتره، ثم ابتسمت له مشجعة، لتعود بعد ذلك إلى حيث يقف نيل الذي أمسك بذراعها ليقربها منه ففكرت في هذه اللحظة أنه هو من يقود أي تلاعب قد تقوم به.

هز رونالد رأسه بحدة، ثم عاد لينضم إلى أصدقائه وهو يحس بصدمة قوية قد أصابته وشعوره هذا ليس جديداً لأن سببه ترودى. تناول كأساً من الساقي ثم أرخى رأسه مبعداً أفكاره عن ترودي، لتنتقل إلى جويس التي تبدو سعيدة مع رودني جوردن وإلى نيل الذي يبدو أيضاً راضياً بل سعيداً رغم ما حدث. علمت الحياة رونالد براند أن أفضل ما يقوم به الانسان تجاه قطار مندفع

هو السير معه إلى أن يتوقف وحده وقد فكّر مقتنعاً بأن نيل ستينال قادر على توجيه اهتمامه إلى ترودي.

وأخيراً، أقام نيل حفلة شواء فاخرة، فجلس نيل وترودي قرب جويس ورودني، أما المدعوون فقد بدت أساريرهم منشرحة.

ما ان انتهت الوجبة، حتى وقف نيل وهو يمد يديه لترودي. بينما عيناه تضيئان:

ـ لقد أكرمتني عندما أريتني حديقة والدتك. وأظن أن الوقت أزف لأريك حديقة والدتي، التي سيكون لها وقعها الخاص في نفسك.

لم يظهر على جويس أو رودني أي انزعاج طبعاً بسبب تركهما وحيدين وكذلك الحال بالنسبة لترودي التي كانت في غاية السرور لأنها ستنفرد بنيل الذي يؤثر فيها ويجعلها في شوق إليه وقلق منه في آن.

ازدادت انفعالاتها عندما ابتعدا عن المدعوين. كان يقودها بسهولة وهو يمر بها عبر ممر غرست فيه أشجار التوت البرية وأشجار الكاميليا التي غرست في بعض المناسبات العائلية. وأخيراً وصلا إلى تلة مرتفعة أمامها حائط كبير يتوسطه باب فتحه لها وهو يقول:

ـ هذه حديقة والدتي السرية.

دخلت ترودي إلى حديقة منفردة في وسطها بركة ذات هندسة رائعة، يحدها من الجانبين ورود متعددة الألوان وفي نهايتها تعريشة بيضاء تحمل الورود المتسلقة، مقابل الورود الساحرة.

3tt3.net

وما إن خطت ترودي خطوة إلى الأمام، وقد خلب المنظر أمامها لبها، حتى رأت بريقاً ذهبياً في ماء البركة. تحركت لتقترب، فشاهدت مجموعة ساحرة من الأسماك الاستوائية تسبح فيها بألوانها الفريدة الرائعة.

أنارت السعادة وجهها وهي تستدير إلى نيل، الذي تأخر عنها ليقفل الباب وراءهما.

ـ ما هذا المكان الساحر إنه أفضل مكان يبتعد فيه الإنسان عن الدنيا.

ـ إنه مكان منفرد له سحره.

بدت على وجهه نظرة راضية متفوقة عندما تقدّم نحوها ونواياه شفافة كالزجاج واضحة كنور الشمس. ولم تكن هي نفسها تريد تأخير هذه اللحظة التي تاقت إليها فترة بعد الظهر كلها. طوقت ذراعاه خصرها فأشاعتا الإثارة في أطراف أصابعها ثم بعد ذلك عانقها عناقاً خفيفاً حاول فيه كبح رغباته بينما عيناه تأسرانها بتحد مُغرٍ.

لم تكن ترودي تنوي التراجع.. أو الهرب لذا وضعت يديها على عضلات صدره القوية، سعيدة.

سألها بصوت مرتجف:

ـ هل أعجبك وجودك هنا؟.

ولم تدر ما إذا كان يقصد: وجودها في الحديقة أم وجودها بين ذراعيه. أجابت:

ـ أجل.

أدناها منه أكثر فأكثر حتى لامس خده شعرها بنعومة تبعها تنهد حار اقشعر له جسدها. في هذا الوقت راحت أنامله الدافئة

الحالمة تلامس كتفيها العاريتين وأنفاسه الحارة تصل إليها دافئة.

وتسللت أصابعها إلى عنقه حيث أطراف شعره. أحنى رأسه بهدوء فقبل جبهتها فعينيها نزولاً إلى صدغيها ولم يلبث أن تحوّل اتصالهما إلى عناق مجنون استجابت له استجابة عمياء، متأوهة منتفضة وقد عصف بها قلبها بجنون وتراءت لها نظرته المحمومة التي تدل على شدة رغبته.

ودون توقع.. ابتعد عنها خطوة، ويداه تمسكان بخصرها. وكل عضلة في وجهه منقبضة لشدة السيطرة التي كان يكبح بها نفسه. خرجت الكلمات من فمه بقوة:

ـ لا بد أنني مجنون... لقد خططت فقط لـ...

خرجت صرخة منها، وهي غير عابئة بالنتائج:

ـ أريدك..

في هذه اللحظة لم يعد يهمها شيء، ولم تعد تريد أن تحسب حساباً لأي شيء فكل ما تريده ألا يتراجع مبتعداً عنها.

ـ ترودي... وأنا أريدك أيضاً.

الآن لا يهمها ما سيؤول إليه رأيه فيها لأنها لا تريد إلا أن تبقى بين ذراعيه حبيسة وأن تجعل هذه اللحظات لحظات لا تنسى.

عانقها من جديد بكل جوارحه وأحاسيسه فتعلقت به بجوع وشوق ليصبح عناقهما أكثر تطلباً وإثارة.

ـ أحبك يا ترودي (خرج صوته أجش من العاطفة).

صرخت وهي تغلق عينيها رافضة روحها لجوعه إلى النفاق. قد تقبل النفاق من غيره أما منه فلا:

ـ لا تقل هذا... أنت تريدني وأنا أريدك وهذا هو المهم.

3tt3.net

ـ أنا أحبك (كرر قوله مؤكداً).

ثم حضنها بقوة لتسمع وجيف وصرخات قلبه. أراحت رأسها على صدره وهي تهمس اسمه همساً. وبعد لحظات من الصمت الذي لم يُسمع فيه سوى خفقات قلبيهما قالت:

ـ إن قلت إن نتيجة هذا العناق اثنان وتسعون علامة فسأقتلك.

ـ هل يرضيك إن قلت إنه فاق وتجاوز كل مقاييس الدنيا.

ـ نعم إذا كان ما تقوله هو الحقيقة.

ـ لا سبب يدعوني للكذب هذه المرة.

رفعت رأسها قليلاً لتنظر إليه، فرأت التعبير المرسوم على وجهه ينم عن رضى عارم إذ بدا وكأنه يعتبرها مزيجاً من الهات جمال الأقدمين اللواتي أوصلن البحارة إلى حتفهم. فقالت بسخرية:

ـ أنت إذاً تعترف أنك كذبت علي المرة الماضية.

فضحك، وهو يمتّع نظره بمرأى وجهها الفاتن الجميل، المضاء بالنصر:

ـ أنا مدين لأختك ببعض عرفان الجميل على هذا.

ـ ولكننا حسمنا أمر جويس.

ـ لقد حسمت الأمر لحظة شاهدتك فيها أما ما تبقى من ذلك فلم يتعدَّ كونه مسألة توقيت عملت على إفساده بطريقة غريبة.

فضحكت وقد غرّها نجاحها في جعله يفقد السيطرة على نفسه. مرات عديدة كانت تشعر بسعادة لا توصف فمشكلة جويس حلت بطريقة مضحكة. فلا بد أن نيل كان يضحك في سرّه عندما كانت تتحدث إليه بشأن الموضوع هذا الصباح، ولكن الأمر لم

يعد يهم الان. وبرقت عيناها وقد أدركت سرّ أفعاله.

ـ هل فعلت ما فعلته من توظيف المطرودين وإعادتي الشاحنة ودفع كل ذلك المال...

رفع وجهها إليه ثم عانقها ثانية ليقطع عليها سيل أفكارها فاستغرقها لملمة شتات أفكارها عدة لحظات بعد ذلك.

ـ أجل... لقد فعلت كل هذه الأشياء كرامة لك... والسؤال الذي يبقى.. هل ستفعلين ما أريده؟

ـ وماذا تريد؟

ـ أريدك أن تتزوجيني يا ترودي. أريدك زوجة.

* * *

3tt3.net

١٠ ـ أول الحب

لا... انطلقت الصرخة من بين شفتيها دون أن تستطيع إيقاف نفسها. مع أنها لا تريد أن تؤلم نيل لكن تجربة الزواج الفاشلة جعلتها تؤمن أن الزواج لا ينجح إلا فترة وجيزة فبعد ستة أشهر لا بد أن تكون النهاية. أضف إلى ذلك أنها تعتقد أن نيل يخلط بين الرغبة والحب. والحب شيء مختلف.. وهو ما تحسه نحو رونالد، وجويس، وليس هذا التجاوب المجنون، الممزق، الذي لا يمكن مقاومته، تجاه شخص آخر.

أحست فجأة أن نيل تسمَّر في مكانه دون حراك، ووقفت هي أيضاً مسمرة. رأته يحدق فيها بكل جوارحه... منتظراً... راغباً... أن تقول نعم.

أرادت أن تكون حذرة في إجابتها لأنها بداية للعلاقة الأكثر إثارة بل فلنقل العلاقة الأفضل لها وأي إجابة في غير موقعها قد تؤدي إلى إنهائها وهذا ما لا تستطيع تحمله في الوقت الحالي.

رفعت عينيها المثقلتين اللتين توسلتا المغفرة منه بصدق ورجاء فالتقتا بنظرته الحادة المتسائلة.

بدا للمرة الأولى متضعضعاً غير واثق من نفسه وكأنه عُرضة للأذية بسهولة. انعصر قلبها لمرآه فرفعت يدها لتمررها بحنان فوق خده مخففة عنه. فآخر شيء قد تريده له هو الأذية. لعله يعتقد أنه بطلبه الزواج منها يقدّم لها أسمى آيات الإطراء لكنه لا يعلم أن الزواج هو سجن للمرأة يطلق عليه اسم القفص الذهبي لكنه في الواقع أمرُّ من كل السجون وهي لا تريد أن تقع في ما لا يحمد عقباه ثانية إطلاقاً. فحريتها أغلى من أي شيء في الوجود ولن تتخلى عنها مقابل وعود الدنيا كلها.

أحست بجفاف فمها، فابتلعت ريقها بصعوبة سعياً وراء كلمات مناسبة تقولها:

ـ نيل... ما تشعر به نحوي، وما أشعر به نحوك... هو مجرد انجذاب جسدي مميز وهذا ما نعرفه جيداً. لكن هذا الانجذاب سيخبو مع الوقت رويداً رويداً حتى يزول. إضافة إلى أن الرغبة ليست أساساً لزواج ناجح لذا أنا لن أتزوج منتظرة النهاية الأكيدة حين تسأم مني أو أسأم منك.

ـ قد أفهم ما تقولينه لو أن ما بيننا انجذاب جسدي عابر. لكن مشاعري تجاهك شيء آخر يملك كياني كله، هو الحب. أنا أريدك حتى آخر العمر لأنني أحبك، لأن...

اعترضت بحدّة:

ـ لا تقل هذا ثانية.

ـ ماذا؟ ألا أقول إنني أحبك؟.

ـ إنها كلمة يقولها الناس عندما يريدون استغلال شخص آخر. فلا تفعل هذا بي يا نيل. لا أريد سماع هذه الكلمة ثانية أبداً.

3tt3.net

الأسى الذي ظهر في كلماتها جعله يفكّر قليلاً، فهي لا تعترض على الزواج للأسباب التي ذكرتها إنما بسبب زواجها الفاشل الذي طبع نفسها بطابع سيء لذا عليه أن يعاملها بحذر حتى يصل إلى مبتغاه.

أخذ يكلمها بلطف وحذر لئلا يجرحها أو يخجلها:

- زوجك... لا بد أنه سبّب لك الألم حقاً؟.

فتح العطف في عينيه جروحاً كانت قد اندملت منذ أن صمّمت على المضي في الحياة بعيداً عن الألم الذي ولى زمانه.

أحس بحد قاطع كالسكين في صوتها وهي تجيب.. بصدق دون إسهاب:

- كل من يتطلق يمر بعذاب نفسي كبير قد لا تفهمه لأنك لم تجربه.

كره هذا الألم العميق وهذا الأسى الأعمق في عينيها وكره فوق ذلك كله ذاك الغبي الجحود الذي سلمته نفسها بالزواج. في هذه اللحظة أدرك أنه قد أخطأ في البوح بما يريد وأنه كان يُفترض به التريث قليلاً. لكن ما ينفع الندم بعد الوقوع في المحظور ومادام قد خاض غمار البحر فليتخطّ صعابه.

ضمها إلى قلبه وهو يحاول أن يُسكت أو يُخمد ألمها بحبه.

- ليتني التقيتك من قبل لأفرش أرضك سعادة، لكن الأوان لم يفت لأن المستقبل أمامنا يمد لنا ذراعيه. أريد أن أسعدك، أن أهبك حياتي مقابل جزء بسيط من ذاتك.

خفّف عناقه الحاد وكلماته الهادئة من توترها، فأجابته بكل بساطة:

- أخشى الزواج.

بدت عيناه وكأنهما تلامسان روحها برقة ساحرة كما يلامس صوته عقلها بأفكاره المغرية:

- ترودي.. أنا لا أريد علاقة عابرة معك إنما أريدك لي العمر كله. أريد أن أستيقظ في الصباح فأجدك قربي، قادراً على أن أمرّر أصابعي في شعرك، أريد أن أجلس إلى مائدة الطعام فأجدك هناك حيث أستطيع رؤيتك ولمسك، حيث أستطيع سماع صوتك ورنات ضحكاتك، أريد أن أُحبك وأن أغازلك فعلاً وقولاً. أريدك جزءاً مني ومن كياني وحياتي.

كلماته تعد بالجنة. لكن الجنة قد تصبح يوماً جحيماً قاسياً. إن هذه الجنة التي وصفها لها تريدها بشغف لكنها تخشى ما يتبع الزواج من عثرات يضعها الأزواج في الطريق. فهل يختلف نيل عن الرجال؟ ألن يطالبها يوماً بما يريده الرجال، ألن يحبس عليها أنفاسها وحريتها؟.

- نيل لقد اتخذت لحياتي سبلاً واضحة الزواج ليس إحداها فإنّ لي أحلامي وطموحاتي...

- بالطبع لديك طموحات وأحلام. يجب أن تحافظي عليها لتحقيقها ولعلي أستطيع مشاركتك بها. إن أفكارك تعجبني... وكنت أتساءل ما إذا كنت راغبة في إدارة قسم ما وراء البحار...

- نيل.. سأكون زوجة سيئة.

- لا أصدق..

- لا أجيد الطهو.

- هذه مشكلة بسيطة.

- وأكره أعمال المنزل.

- لن يُطلب منك ذلك. فأنت لن تطبخي ولن تغسلي أو

3tt3.net

تكنسي لأن لدي من يقوم بأعمال المنزل كلها.

لا أحب الأطفال! بينما أنت تريدهم وتحبهم. صدقني لن أنجح في تربيتهم. ماذا لو كنت . .

- لا يهم . .

- إنه مهم جداً.

- أنت المهمة فقط يا ترودي.

- ماذا لو أنني عاقر؟ ماذا لو . . ؟.

- ترودي لن أستسلم مهما قلت بل سأبقى على تصميمي حتى أنالك وأتزوجك أما بالنسبة للأطفال فإن أردت يوماً إنجاب طفل فسأستأجر ممرضة أو مربية للعناية به وبذلك أجنبك القيد أو المسؤولية. وفي النهاية، إنه جسدك، وقرارك . . .

- لكنك حقاً تريد الأطفال.

كان إصرارها كمن يتلمس عذراً على غير هدى لمنعه من الاستمرار في التفكير بالزواج، ولكنه لم يتزحزح . . بل قال ببساطة:

- أجل . .

لم يشعرها اعترافه بالراحة بل على العكس. عندما تزوجت فكرت في بعض الأوقات بالأطفال. لكنها في ذلك الوقت كانت صغيرة لم تدعكها الحياة وبعد مضي وقت من الزواج حمدت الله لأنها لم تنجب.

لكنها مع نيل . . . أخذت تقاوم إحساساً رهيباً يسيطر عليها. نظرت إليه بقوة، وهي تحاول تقييمه من جديد فوجدته غير مبال بأي نقاش تطرحه بل هو على استعداد لتمزيق حججها إرباً إرباً ففي عينيه اهتمام صادق وعلى وجهه تصميم أكيد جعلاها تسبح

في دوامة كبيرة ليس فيها إلا نيل الذي ينتظر وصولها إليه في أية جهة سلكتها وصرخت في محاولة أخيرة للاحتجاج:

- لن ينجح هذا؟.

ماذا تفعل وقد أوصد الأبواب، كلها أمامها؟.

- إذا كنت خائفة من الزواج فهل تقبلين بفترة خطوبة طويلة؟

لماذا لا؟ قد تكون هذه الفترة خيراً لها فتستطيع خلالها التفكير بالموضوع أكثر وبعدها تتخذ القرار.

- نعم. لم لا؟.

أحست بالراحة وهي تجيب هذه الإجابة ولم يكن هو أقل راحة، لأنه كان أيضاً متوتراً إلى حد كبير.

نظرت إليه فرأت أساريره قد استرخت وابتسامة هادئة قد علت وجهه، وبريق السعادة يطل من عينيه لأنها بإجابتها تلك أعطته بصيص أمل وهو سيسعى خلال الوقت اللاحق إلى إقناعها بفكرة الزواج منه.

عانقها بحب وشغف ففكرت أنها لن تعترض أبداً إذا ما عانقها كل يوم بهذه الطريقة. كانت قد اتخذت قراراً بعد زواجها الفاشل بألا تعطي رجلاً أقلَّ فرصة في التقرب منها. أما الآن فهي تشعر أن نيل رجل يستحق أن تعطيه فرصة قد تستمر أشهراً وهي فرصة لها وله لا يعلم إلا الله ما ستؤول إليه الأمور.

كان قد مضى وقت طويل وهما على هذا الحال، لكن أشعة الشمس المتسللة من بين أوراق الدالية قد ضعفت وهي تشير إلى الفترة التي غابا فيها عن المدعوين وهذا يعني أيضاً أن نيل قد فقد إحساسه بالمسؤولية تجاه ضيوفه.

لم تشعر برغبة في تذكيره بواجباته، فالشوق الممتع الذي

3tt3.net

يغمر كيانها صرف تفكيرها كلياً عن الحاضر. لكنّ غيابها الطويل عن الحفلة قد يبعث القلق إلى والدها الذي يحق له أن تطمئنه.

ـ نيل...

ـ هه...

شكت ترودي بأن يكون تفكيره منصباً على شيء آخر عداها، فهو إنسان حساس جداً، فتساءلت كيف ارتكبت ذلك الخطأ باعتباره آلة كومبيوتر.

ـ أنسيت أنك دعوت الناس إلى بيتك؟ وأن عليك...

ـ لا يهمني من الضيوف إلا ضيفة واحدة فقط.

تنفست عميقاً كي توازن المشاعر المرتجفة فيها.

ـ نيل... يهمني جويس ووالدي الذي يعتقد إلى الآن أنني لا أحبك.

نجح كلامها هذا في جذب انتباهه مجدداً. فرفع رأسه والتقت عيناهما.

ـ سأتحدث معه... ما إن نعود.

ـ لا تقلق سأ...

قاطعها قائلاً:

ـ ترودي... لو كنت ابنتي، لطلبت ممن يريدها أن يسألني طالباً يدها.

ضحكت لأنها وجدت كلامه يدل على عقلية عفا عليها الدهر. لكنها أعجبت بذلك وأرادته.

ـ حسن جداً... سأتكلم مع جويس بينما تتكلم أنت مع والدي. بذلك نحسم المسألة.

أطلق في وجهها تلك الضحكة التي تثير فيها مشاعرها كلها.

هذه الضحكة التي لا تحمل شيئاً من الخبث بل كل الرضى والسرور والنصر.

طردت الأفكار من رأسها، إنها مسرورة جداً بهذا الوضع لذا لن تتساءل كثيراً بصدده. بعد لحظات قالت:

ـ لقد أمضينا وقتاً طويلاً هنا.

ـ هل تريدين الذهاب؟.

ـ أفضل هذا.

فضحك ثانية.

ـ حجة غير مقنعة.

فضحكت:

ـ ما تفعله بي نيل ستينال سيصيبني بالإدمان.

ـ عظيم! فأنا أكره أن أكون المدمن الوحيد.

ـ يجب أن نذهب.

ـ أمرك سيدتي.

أفادهما نوع القماش الذي يرتديانه لأنه لا يتجعد بسهولة. هذا ما فكرت فيه ترودي أثناء عودتهما إلى مكان الحفلة، لكنها خشيت بأن يفضح سرورها مشاعرها للعيان ولم تكن هي الوحيدة السعيدة بل إن نيل أيضاً بدا مختلفاً: عيناه أكثر إشراقاً ووجهه أكثر ضياء.

سارا مبطئين إلى بركة السباحة خاصة وأن نيل كان يتمنى كلما سارا بضعة أمتار أن يضمها إليه معانقاً.

أخيراً، وصلا إلى الأبواب الإيطالية التي تعود للقرن السابع عشر، ففتح نيل إحداها، ليفسح لها المجال بالخروج قبله. لكنه لم يلبث أن طوق خصرها بذراعه ما إن انضم إليها من جديد.

3tt3.net

عندما وصلا إلى الجمع الغفير الذي تجمع حول البركة راح المدعوون يحيونهما وكأنهما افتقدوا صحبتهما. وتبادل كل منهما النظرات ثم افترقا ليذهب كل منهما لإنجاز المهمة التي أوكل نفسه بها.

كان رونالد جالساً يتناول الشراب المنعش طوال بعد الظهر. وهذا ما ساعده على تقبل طلب رودني جوردن الزواج من جويس فقد أعجبه هذا الشاب الذي تكلم معه بكل ثقة واندفاع فهو رجل مهذب لا يشبه بتاتاً ذاك الفنان اللين الملمس الذي جذب ترودي لزواج يحس رونالد بالرجفة كلما فكر فيه. لكنه في ذاك الوقت لم يستطع أن يفعل شيئاً لأن ترودي عندما تقرر أمراً يصعُب تغيير رأيها.

ساعده الجو المرح على تهدئة هذه الأفكار المزعجة، ولكن ذلك لم يمنعه من القلق على ترودي التي اختفت مع نيل ستينال منذ فترة طويلة. راح يفكر بنيل ستينال الذي يشبه حقل ألغام قد ينفجر في أية لحظة وبترودي الصلبة التي لا يعرف المرء ما سيحدث له معها وهذا الطبع فيها يجعل الحياة معها لأي رجل أكثر إثارة.

كان واعياً لكل ما يجري حوله، ففي اللحظة التي رأى فيها نيل يعود للظهور مع ترودي، لاحظ أن الدلائل عليهما كانت واضحة، بشكل لا يصدق أو لا يتوقع. ومما لا شك فيه أن نيل لم يتعرض للتشويش فحسب بل انه يبدو وكأن قطاراً قد صدمه بكل قوة.

أحس رونالد بالعطف على هذا الرجل الذي سيعتاد مع مرور الوقت على هذا النوع من الصدمات بل قد يصاب بالإدمان.

وترودي نوع من الإدمان... ترودي؟ استوى رونالد في مقعده وقد رأى نيل يسير نحوه، وقد ارتسم على وجهه التصميم نفسه الذي رآه على ملامح رودني جوردن منذ قليل. ما إن أصبحا وجهاً لوجه حتى بادره قائلاً:

- رونالد.. أريد الزواج من ترودي.

- نعم هذا يبدو جلياً على وجهك.

تساءل ما إذا كان نيل يستطيع نسيان أمر الخداع الذي تعرض له.. فالرجل واقع في الحب حتى أذنيه وتابع نيل:

- إلا أن خوفها من الزواج جعلها لا توافق.

أجاب رونالد وهو يدرس كل الإمكانيات:

- آه...

كان يدرك أن هناك العديد من الأسباب تمنع ترودي من القبول بعرض نيل: فتمنى أن تكون قد رفضت الرجل بشكل لطيف مهذب. لكنه لا يبدو مصعوقاً.

سأله رونالد:

- آه.. ألأنها لا تحبك يا نيل؟.

- لا، إنها تحبني وقد وافقت على الخطوبة، وأنا راض بقرارها هذا، لأن هذه الفترة قد تجعلها تغيّر رأيها بشأن الزواج.

نظر إليه بدهشة، فمتى أحبته ترودي وكيف؟ أما رفضها للزواج فهو أمر لم يفاجئه لأنها عانت الأمرين من زواجها السابق، لكن نيل ستينال ليس من الرجال الذين يتخلون عما يريدونه بهذه القوة. قد تتململ أو تعترض لكنها في النهاية ستخضع له بإرادتها.

- لقد أمضت ترودي أوقاتاً سيئة جداً في زواجها الأول يا

3tt3.net

نيل، وأعلم أنك من طينة مختلفة عن زوجها السابق.. ولكن إذا أردت نصيحتي...

سارع نيل للاعتراض، وعيناه ترمقانه بحدة:

ـ أريدها...

ـ ترودي امرأة مميزة لا أريد أن أراها تعسة، فلا تكن جشعاً متطلباً. إنها بحاجة إلى الثقة والاعتناء والرعاية حتى تطمئن إليك. فإياك أن تغير شخصيتها لأن ما جذبك إليها هو شخصيتها الحالية بقوتها وتمردها فإن تغيرت أو تبدلت ترودي فستغدوان تعسين.

ـ سأتذكر هذا... هل هناك أي شيء خاص بشأن زواجها الأول تستطيع أن...؟.

هز رونالد رأسه:

ـ هذا من شؤون ترودي الخاصة يا نيل... وكل علاقة تختلف عن الأخرى. فركز على ما يمكن لك أن تحصل عليه منها. حذار نبش الماضي الذي لا ينفعك.

ـ شكراً لك يا رونالد. أنا أقدّر لك نصيحتك هذه أكثر من أي شيء في حياتي، فأنا لا أطلب من الحياة إلا أن أؤمن لها السعادة.

ـ أتمنى لكما التوفيق والسعادة أما الآن فسأتحدّث إلى ابنتي على انفراد إن كنت لا تمانع.

ـ بالطبع...

راقبه رونالد يتجه نحوها وهي تتحدث إلى جويس، التي بدت مذهولة، وعندما وصل نيل إلى جانبها، رفعت رأسها إليه ووجهها يشرق، بحيث أن رونالد أحس بالدموع تكاد تنفجر من

عينيه. وتوصل إلى استنتاج بأن نيل ستينال رجل يملك قوة إقناع رهيبة، ومع أنه يعرف جيداً قوة ترودي وإرادتها فقد تملكه شعور قوي بأن نيل إن كان مصمماً على الزواج، فإنَّ الأمر ليس إلا مسألة وقت.

استدارت نحوه وجدائل شعرها تتموج، ووجهها ملوّن بتلك الحيوية القوية، وعينا أمها الخضراوين ترقصان بسعادة داخلية.

ـ أبي.. أعلم أن هذه مفاجأة رهيبة لك...

ـ لا... إطلاقاً. فأنا منذ وصولي أتلقى المفاجأة إثر المفاجأة ولا أعتقد أنني سأفاجأ أكثر مما فوجئت.

ضحكت، ثم أمسكت بيده، وضغطت عليها بمحبة قبل أن تجلس على الكرسي الذي كان قد أخلاه نيل، وتلاشت الضحكة لتصبح توسلاً:

ـ إنه يعجبك يا رونالد.. أليس كذلك؟.

كانت تسأله بإلحاح لأن رأيه يهمها فقد أخطأت عندما خالفت نصيحته وتزوجت من ماروشير مان.

ـ أجل يا ترودي أظنه رجلاً شريفاً.

ضحكت برضى...

ـ حسناً، على الأقل هو لا يريدني لأجل مالي خاصة وأنني لا أملك فلساً.

قطب رونالد جبينه:

ـ هذه ليست الحقيقة الكاملة يا ترودي.. وبالمناسبة، أعتقد أنه حان الوقت لأعترف لك... لقد كنت مسؤولاً جزئياً عن إفساد زواجك. لقد قلت له إنّ كل ما تملكينه هو المال الذي تركته لك أمك بالأمانة، وإن جويس هي التي سترثني فقط، وان

3tt3.net

عليه أن لا يتوقع الحصول على أي قرش مني.

ـ حسناً، هذا كله صحيح، فجويس هي...

ـ ترودي... لقد كذبت من أجلك يا عزيزتي، فقد كرهت أن أراه يستنزفك بالطريقة القاسية الخالية من الرحمة. وكان يجب أن يتوقف كل هذا، ليس من أجل المال فقط بل كان علي أن أوقفه عند حده، فما كان يفعله بك.. فظيعاً.. ولم يكن الأمر مرشحاً للتحسن، مهما كنت ستحاولين، وأنت تدركين هذا الآن، أليس كذلك؟.

ـ أجل...

ـ لكن يا ابنتي الحبيبة الصغيرة، أنا أحبك وأختك بالقدر نفسه فأنتما وريثتاي الوحيدتان. عندما تبلغين الثلاثين ست...

لم تستطع أن تمنع دموعها، وهزت رأسها وهي تصرخ:

ـ أبي... أنا لا أحتاج للمال... استطعت دائماً أن أحل مشاكلي في الحياة.. فأنا أفضل أن ترث جويس كل شيء لأنني كما تعرف سأبذره تبذيراً.

ـ افعلي ما شئت به عندما ترثينه. لكني أعلمك بذلك الآن لتعلمي أن لا حاجة تدفعك للزواج من أي إنسان ليؤمن حياتك...

استعادت وعيها بسرعة ثم ابتسمت له:

ـ إن قبلت بنيل زوجاً فليس بسبب ماله.

رفع حاجبه متسائلاً:

ـ أنت لغز بالنسبة لي، ففي الصباح قلت انك بدأت تحبينه.

ضحكت ضحكتها الصافية الساحرة.

ـ أبي.. إنه الأدهى والأذكى وأنا أجده تحدياً كبير لي طوال

الوقت، أضف إلى ذلك أنه يغازلني بأروع الطرق ويدخل قلبي بمعاملته وحبه وشغفه بي. لقد قلت له ان الأمر لا يتعدّى التجاذب وإنه من غير الجائز...

ـ كل شيء جائز في الحب والحرب.

كاد والدها يُبدي إعجاباً بنيل ستينال الذي زجَّ نفسه في هذه المغامرة لكنه واثق من أن نتيجة هذه المغامرة ستكون مثيرة للاهتمام.

ـ أتعلمين.. أنا أريد فقط الأفضل لك يا عزيزتي، فإذا كان هذا هو الأفضل.. فأتمنى لك كل الخير مع نيل ستينال.

قفزت عن كرسيها لتعانقه:

ـ كنت أعلم أنك ستفهمني يا أبي، يجب عليّ أن أجرب، أليس كذلك؟.

ـ دون مغامرة، لن تحصلي على مكاسب.

ـ أحبك كثيراً.

قبلت خده، ثم عادت إلى الرجل الذي يحتاج أن يسمع هذه الكلمات من شفتيها، لكن الطريقة التي اندست بها سعيدة ما بين ذراعيّ نيل ستينال المتشوقتين لها.. قالت الكثير.. والطريقة التي اشتدت بها ذراعاه حولها قالت الأكثر. إنه الأدهى... والأذكى والأكثر تصميماً وعزماً.

أجل.. بإمكان رونالد أن يترقب بضعة أشهر قادمة مليئة بالإثارة والاهتمام.

3tt3.net

١١ ـ ما بعد الحب

كانت الحياة مع نيل مفاجآت مستمرة بالنسبة لترودي فلم يحدث أن انتقدها أو طالبها بشيء. كان رجلاً كاملاً ما تصورت أنها ستحيا معه هكذا بل لم تتصور يوماً أنها قد تعيش هذه السعادة كلها وهذا ما أظهر لها أن هناك دائماً أشياء جديدة تتعلمها، لكنها لم تترك نفسها تنسى أنهما في بداية حياتهما.

كان يملك شقة في الطابق الأعلى من مبنى يقع في وسط المدينة وهذا يعني أنه لم يكن عليه الانتقال من وإلى الغرين فيلد لمتابعة أعماله. وكان قد آزرها في عملها في مكتب التوظيف حتى توظّف آخر عامل في لائحتها.

دهشت ترودي لما عرض عليها نيل أعماله الواسعة وإذا بها ترى أن شركة أبيها في النقل ليست سوى نقطة في بحر أعماله. أثارت أعماله اهتمامها فراحت تدرس باهتمام مشاريع ما وراء البحار وهي تحمل أفكاراً كثيرة قد تفيد في هذا المجال.

ـ لم تختر بعد اسماً للمركز الذي ستعطيني إياه يا نيل؟.

ـ ليس على وجه التحديد. ماذا تقترحين؟.

ـ حسناً، أنا لا أحب لقب الرئيسة أو نائبة الرئيس، أو رئيسة مجلس الادارة.. بل أفكر بلقب «مراقبة التنسيق المضاعف» الذي يحمل صبغة الأهمية والنفع معاً. هل يروقك هذا؟.

ـ عظيم! سأضع لك لوحة عليها هذا اللقب غداً كما سأطبع لك البطاقات..

ـ وهل أعجبتك فكرتي حقاً؟.

ـ إنها رائعة!.

ضحكت، وقفزت نحوه.. فكانت هذه الحركة نهاية وجبة طعام أخرى لم يتماها! ولم يكن الأمر مهماً، فقد كانا يتمتعان ببعض الوجبات السريعة في منتصف الليل. كل شيء مع ترودي كان يبعث الفرح والبهجة إلى قلبه. فما يذكر أنه ضحك يوماً كما يحدث معها الآن. كانت الحياة معها مثيرة رائعة لم يحسب للحظة أنها قد تكون هكذا في أيام حياته.

انشغلت ترودي بعملها الجديد الذي استأثر باهتمامها وكانت جويس قد طلبت منها المساعدة في تنظيم حفلة زفافها.

في غمرة الاسراع نحو موعد المزاد الذي سيكون بعد شهر، كان هناك الكثير للقيام به. فبعيداً عن الترقية التي حصلت عليها، كان أمامها تنظيم مسألة الأسعار. ومع أن ڤيڤيان كانت تخطو خطوات ضخمة في هذا المجال، إلا أنها لم تكن لتنجح دون مساعدة ترودي، فالناس يجب حثهم وتنظيمهم، وإقناعهم. ووجدت هذا الأمر يستنزف قواها، وكان لاسم نيل ستينال غالباً تأثير رائع. إضافة إلى ذلك، كان يجب ضخ بضعة أفكار أخرى للبرنامج كي يتم كل شيء على ما يرام، وإذا كانوا سينزلون للمزاد أشياء خيالية، فإن هذه الأشياء يجب أن تكون خيالية حقاً.

3tt3.net

أدهشها أن ڤيڤيان التي تكره الرجال لم تعلق بأي شيء بشأن خطوبتها لنيل ستينال، هذه الخطوبة التي أصبحت حديث المدينة الحالي وموضوع الصحف.

كانت تتوقع تعليقاً من قبل ڤيڤيان أو إشارة تدل على امتعاضها أو اعتراضها فهما قد اتفقتا يوماً على أن الرجال قذرون وما زاد استغراب ترودي أن ڤيڤيان لم تتحدث إلا عن رجل واحد هو السيد تومسون.. فقد أشادت بطهوه ورجاحة عقله ومراعاته لأحاسيس الناس ورهافة حسه. إن مدحها له جعل ترودي تعتقد أن ڤيڤيان بدأت تقبل فكرة وجود رجل ما في حياتها.

كان كل شيء يسير على ما يرام في سبيل إنجاح المزاد ولما طلبتا من السيد طومسون العون وافق دون اعتراض. وقد ساعدتهما في التحضير دوريس غودريك التي قامت بإعلان رائع استقطب اهتمام الأثرياء واهتمام نيل أيضاً الذي علّق يوماً في إحدى الأمسيات:

ـ لا أستطيع فهم الأمر. ثمة إشاعات تدور في لندن ومدن أخرى عن أشخاص أعلم علم اليقين أنهم بصلابة المصرف البريطاني. ومع ذلك تشيع الأخبار أن وضعهم المالي ليس متيناً كما يتوهم البعض، وهذه الإشاعات غريبة من نوعها حتى بدأت أتساءل من هو صاحبها.

حمدت الله لأن نيل لا يقرأ صفحة الفضائح أو الإشاعات لأنه بالتأكيد ما كان ليوافق على ما تقوم به من خطط، فهذه الخطط وإن كانت غايتها نبيلة فهي قد تؤذي مشاعر بعض الناس. ولتتجنب توضيح حيرته سعت إلى تغيير الحديث فقالت له:

ـ نيل.. كنت أفكر بمنصبي الجديد...

ـ وما به؟.

شعرت بالسعادة لأنه قبل هذا التغيير في منحى الحديث الذي لا تريد خوض غماره.

ـ حسناً... في الحقيقة لدي الكثير من النشاطات التي أهتم بها. فهناك زفاف جويس وعدة مشاريع خيرية التزم بها من وقت لآخر. ولا أرى كيف أستطيع تدبير هذا السفر عبر البحار للإشراف على ما يجب أن أقوم به لتنظيم عمليات النقل هناك ومع ذلك...

ـ ليس عليك أن تفعلي هذا بنفسك يا ترودي، فأنت صاحبة القرارات، وهناك مديرون محليون ينفذون قراراتك. وكل ما عليك هو أن تمرّريها لهم.

ابتسمت بسعادة.. صاحبة قرارات.. لقد أعجبها هذا. أجل هذا ما هي عليه بالضبط. لقد كان والدها على حق بعدم تسليمها الأعمال، فقد قال يومها ان هذا سيتطلب الكثير منها ولن تكون حرة لتقوم بالأشياء التي تحبها. وقال أيضاً انها قد تتزوج ثانية... و... ونظرت إلى نيل وقررت أن هناك شيئاً يجب أن نعيد التفكير فيه. فابتسمت له:

ـ في الواقع، لم تعجبني فكرة السفر من دونك يا نيل. فحياتنا معاً أصبحت كالإدمان لي.

لم يلبث أن انتهى الأمر وقد نسي نيل بالطبع كل شيء عن الإشاعات التي سمعها وقررت ترودي أن لا تتخلى عنه فهما منذ ستة أسابيع في سعادة تامة معاً. والحال معهما تسير نحو الأفضل.

3tt3.net

انها تفكر فيه كثيراً، تتصور نفسها وقد حملت طفله بين أحشائها هذا الطفل الذي يسرها أن تنجبه لتلبي رغبته. لكن ماذا سيحدث فيما لو تركا بعضهما بعد فترة يكون قد ملّ منها. عندما كانت تراودها هذه الفكرة كان قلبها يعتصر ألماً.

ومرت الأيام سريعاً والعمل الدؤوب يسير حثيثاً. كان السيد طومسون قد أثبت قدرته على تنفيذ المهمة الموكلة إليه فقد بدا وكأنه أحد الأثرياء المثقفين. لكنه اعترض يوماً:

ـ ماذا سيحدث لو تقدمت بالمزايدات فوقعت علي وأنا لا أملك مالاً.

ـ قد تقع عليك مرة، مرة واحدة فقط، وستتحمل ذلك لكننا بطريقة ما سنعيد عرض هذا الغرض. دورك في هذا المزاد أن ترفع قيمة المزاد دون أن يقع عليك الاختيار.

وقال بقلق المهتم بأن لا يخطىء:

ـ آه...

وطمأنته ڤيڤيان.

ـ سأكون جالسة قربك. ولقد وضعنا قيمة متحفظة لكل سعر قطعة. وسأقول لك متى تتوقف.

ارتاح السيد تومسون، ورمق ڤيڤيان بنظرة رضى.

ـ إنه لمما يشرفني أن تضعا ثقتكما بي...

توردت ڤيڤيان... وعلمت ترودي أنه حان الوقت لتتركهما معاً.

لم يكن هناك شيء تخفيه ترودي عن نيل.. ولكنها شعرت أن من الحكمة أكثر إخفاء الحيل التي تقوم بها للمزاد. ولسبب

ما، أخذ اهتمام نيل بالمزاد يزداد شيئاً فشيئاً حتى أنه طلب منها يوماً لائحة بالأشياء الخيالية التي ستباع فأحضرتها، فراح يقرأ بصوت خافت بعض العروض المثيرة:

ـ قضاء بعد ظهر كامل مع فنان شهير يرسم لك لوحة شخصية... مشاركة في دور عابر في عرض للأوبرا...

ارتفع حاجباه دهشة، فقالت له، وهي تغمز له بأنفها:

ـ أفضل أن أغني.

مال نحوها ليعانقها.

ـ ما رأيك بأن تكوني مذيعة برنامج موسيقي مدة ساعتين في محطة إذاعية شهيرة.

ـ نيل... أنا سعيدة بحياتي كما هي الآن.

وحاولت جاهدة أن لا تشجعه في الانغماس بأي شيء في هذا المزاد. فالمزايدات سترتفع حتى تصل إلى أرقام خيالية إذا تم كل شيء كما خططت له ومع أنها تؤمن بأن ما ستقوم به هو أمر مبرر تماماً، فإنها لم تكن واثقة من أن نيل قد ينظر إلى الأمر من هذه الزاوية خاصة إذا كلفه ذلك الكثير من المال.

ضحك لها تلك الضحكة التي تثير فيها المشاعر:

ـ أليس هناك شيء تحبينه بشكل خاص؟ أليس لديك أحلام؟.

ـ أحلامي ليست على هذه اللائحة... فالحلم الذي يراودني الآن ليس مكتوباً...!.

فهم نيل التلميح. وهذا من الأشياء التي تحبها ترودي فيه. كانت تشعر بسرور خبيث لأنها تجعل نيل يفقد السيطرة على نفسه. تساءلت ما إذا كان نيل سيحافظ على حيويته وهو في

3tt3.net

الثمانين من عمره. قد ينتهي بهما الأمر إلى إنجاب مجموعة كبيرة من الأطفال، كم راقت لها هذه الفكرة التي تطغى على قراراتها السابقة. تصوّرت مجموعة من الصبيان يشبهون نيل وفتيات يشبهنها، يركضون حول الحديقة في «غرين فيلد» ويلعبون ألعاباً رائعة. إن منزله مكان ممتاز للعب «الغميضة». وبإمكان نيل تعليمهم السّباحة. ظلت هذه الأفكار تراود ترودي إلى أن غدت حلماً لذيذاً.

كانت حفلة زواج جويس ورودني أكثر من رائعة، جرت في الأراضي المحيطة بمنزل والدها. في هذا المنزل، وفي الحديقة كانت بداية علاقتها مع نيل. وها قد مرّ شهران على هذا. كم تتمنى لأختها هذه السعادة التي تعيش في أحضانها.

* * *

«أهم حدث خيري لهذا العام» هذا ما أطلقته الصحف على المزاد من تسمية. دون شك ستكون ليلة الترف والتبذير، هذا ما توقعته ترودي إن سارت الأمور كما خططت لها.

عملت دوريس عملاً دؤوباً لتثير اهتمام كل الأثرياء الذين أتوا المزاد وفي نيتهم إبراز ثرائهم . اختارت ترودي ثوباً أحمر قانياً يناسب هذه المناسبة التي غايتها استنزاف أموال الأثرياء ودمائهم. وهو في الوقت نفسه يناسب بذلة نيل الرسمية التي بدا فيها وسيماً مذهلاً، وقد اضطرتها هذه الوسامة إلى أن تلوّن شفتيها أكثر من مرة بأحمر الشفاه قبل أن يخرجا.

قاعة الرقص، في فندق «امباسادور» كانت مزينة بأقمار ونجوم، وغيوم من رقاقات الفضة. وعلقت عارضة ضخمة فوق

المسرح تقول.. «اجعل أحلامك الخيالية.. حقيقة!» كانت كل النسوة قد ارتدين أجمل ملابسهن وتزينّ بأفضل الحلي والمجوهرات. وكان كل الرجال قد ظهر على ملامحهم العزم والقسوة. المسرح جاهز والممثلون والجمهور جاهزون. كان العشاء فاخراً.. وكيف لا يكون كذلك وقد بذلوا مالاً كثيراً لأجله. أقبل الجميع للتمتع لا ليتورطوا في المزايدات. فيثيان والسيد تومسون كانا على الطاولة الأقرب للمسرح، ولكن الطاولات كانت محضرة بطريقة تسمح للجميع برؤية كل شيء.

لاحظت ترودي أن السيد تومسون يبدو مميزاً في بذلته الرسمية التي استأجرها لهذه المناسبة وفيثيان بدت أيضاً صورة للأنوثة الفاتنة بثوب من «الشوفين» الواسع. دوريس غودريك كانت تبدو خطيرة بثوب ذهبي أصفر، وهي تنتقل من طاولة إلى أخرى قصداً، كانت أحياناً ترمق ترودي ببسمة تشابه بسمة القطة الشرسة. رحلتها حول قاعة الرقص كان يمكن أن تقاس بتصاعد العدائية في الأجواء.

أخيراً انفجر التصفيق والهتاف عندما أمسك المقدم أخيراً المذياع على المسرح. وكان ملوك المال أكثر من مستعدين لبدء معركتهم.

بدأت المزادات والمزايدات بشكل حار تصاعدي. وقد تفاجأت ترودي من نسبة ارتفاع المبالغ المالية التي فاقت أي حد تصورته. كانت ترى السيد طومسون من حين لآخر يلوّح بيده ليرفع وتيرة المزاد أكثر فأكثر، حتى فاق ما تخيلته في أحلامها. أمّا فيثيان التي جلست قربه فكان وجهها قد احمرّ بشكل مريب.

ما إن وصل دور المزاد العاشر، حتى بدأت ترودي تتساءل

3tt3.net

حقاً عما قد قامت بإطلاقه. إنه حكم الهرج والمرج. فقد كان الناس يصيحون بمزايداتهم، وكأنما ليس هناك من غد. وانتابت هذه الحمّى بائع المزاد وأخذ يتحرك بمزيج من التبشير الحار إلى البيع الهستيري، والسيد تومسون، الذي كانت تحته ڤيڤيان في بعض الأوقات الحاسمة، كان يقود هذا الجنون. وكانت دوريس تدور في المكان، تسجل ملاحظات، عمّن اشترى ماذا.

كان المشترون يعتزّون بإيجابية بجنون ما اشتروه. واتسعت عينا جويس لدى سماعها نسبة الأموال التي كانت تتصاعد واستمر رودني يهز رأسه في عدم تصديق مذهول. وكان رونالد يتحدث إلى نفسه وكأن هذه الليلة أكثر الليالي تسلية في حياته. أما هي فقد كانت مطمئنة البال هانئة لمعرفتها أن زوجها المقبل رجل عامل مفكر.

نعم لقد تأكدت من قرارها وهي بعد انتهاء المزاد ستعلمه بقرارها أنها موافقة على الزواج متى شاء.

بدأت تشعر بالإغماء يزحف إليها ولعل السبب هو الحرارة. لقد غدا الجو أكثر من خانق بالنسبة لها، واللون الأحمر الذي يطغى على القاعة بات يزعجها كثيراً. لقد أزف المزاد على النهاية إذ لم يبق للعرض سوى ثلاثة أشياء. فجأة أحست ترودي بأن عليها الخروج لتنشق بعض الهواء العليل. لمست ذراع نيل:

ـ أريد الذهاب إلى غرفة الزينة.

هزّ رأسه، فسارعت إلى الخروج لكنها بدل أن تقصد غرفة الزينة جلست على كرسي في خارج قاعة الرقص التماساً لبعض الهواء النقي الذي قد يردُّ إليها أنفاسها العميقة. وقد ردّت أسباب هذا الضيق إلى دخان السجائر.

ما إن ارتدت إليها أنفاسها حتى راحت تتجول على الشرفة الملتفة حول بهو المدخل. كانت النوافذ تطل على الساحة العامة. وقد استطاعت أن ترى عن بعد شقة نيل القائمة على قمة إحدى البنايات التي تزدحم حول الساحة، أضواء المدينة والأضواء المحيطة بنهر التايمز بدت وكأنها تلطف قليلاً من اضطرابها الداخلي.

وصلت المبالغ التي حققها المزاد حداً لا يتصوره عقل وهذا يعني أن كل يتيم سيحصل على المساعدة التي يحتاجها وتمنت ألا يدرك أحد الخدعة التي قام بها السيد طومسون في رفع قيمة المزايدة. ليس لأن الأمر مهم حقاً، على كل، فلو لم يكن لهؤلاء الملوك هذا الكبرياء لتركوا السيد تومسون يكسب ما يشاء من الأشياء المعروضة للمزاد. فقد كان بإمكانهم أن يبرهنوا أنّ لديهم أموالاً مكدسة، بغير هذه الطريقة، ولم يكن عليهم حقاً أن يقوموا بهذا العرض المجنون لثرائهم.

ـ هل أنت بخير يا ترودي؟.

أجل، إنه هو. . . فاستدارت مبتسمة حتى تبدّد قلقه.

ـ لقد بدا المكان خانقاً في الداخل. هل انتهى المزاد؟.

ـ تقريباً. لقد جربت حظي في آخر المعروضات، وأتيت أبحث عنك، لقد اشتريت الرحلة؟.

ـ الرحلة؟.

أحست ترودي أنها على وشك الإغماء ثانية.

ـ أجل. . الرحلة والغداء مع الخدم، وفرقة الموسيقى و. . . وكأنها لا تعرف. . تابع. . .

ـ أعلم أنها ستعجبك إذ ستكون رحلة شاعرية. لقد نافسني

3tt3.net

أحد المجانين على شرائها ولكنها في النهاية وقعت عليَّ بمبلغ وقدره مائتان وعشرون ألف جنيه فلعل ذلك يكون دعاية جيدة لنا ولشركتنا..

جذبها إلى ذراعيه، وعيناه تلمعان بنوايا سرية.

ـ سنحصل أنت وأنا على وقت رائع.. يا حبيبتي. أردت أن أهبك شيئاً خاصاً. خاصاً جداً. لأنك بالنسبة لي امرأة مميزة لها مكانة خاصة في قلبي وروحي. وقد أردت أن أظهر لك ذلك بهذه الطريقة.

ـ أوه يا نيل!.

لقد أحسن صنيعاً عندما أمسكها معانقاً ذلك أنها شعرت بالضعف يزداد تدريجياً، لكنها شعرت بالذنب لأنه قد وقع في الفخ المجنون الذي نصبته لأولئك الأثرياء.

ـ أنت تهبني الكثير. ما كان يجب أن تفعل هذا.

ـ ترودي! ترودي!.

هذا النداء الملحّ كان ينبعث من ڤيڤيان دورلاند، وقد قدمت تطير فوق الشرفة، ووجهها محمر أكثر مما كان يحدث لها وهي مراهقة، وعيناها تلمعان:

ـ لقد حصلنا على الملايين! ثلاثة ملايين وتسعمائة وسبعة وثمانين ألف وستماية وخمسة وعشرين جنيهاً! فكري بهذا. أنت فتاة رائعة! ما كنا لننجح لولاك.

لم تستطع ترودي إلا أن تبتسم لسرور ڤيڤيان.

ـ لا تفكري بالأقل. ففي المرة القادمة يجب أن يصل المبلغ إلى الخمسة ملايين.

ـ خمسة ملايين؟.

ـ خمسة ملايين جنيه.

ـ أنت رائعة يا ترودي.

نظرت إلى نيل وتابعت:

ـ إنها فكرة ترودي، وأتمنى أن تكون مقدّراً عبقريتها!.

فابتسم وقال:

ـ أجل.. طبعاً.

ردت ڤيڤيان:

ـ من الرائع أن يكون للمرأة رجل يقدّرها.. آرثر يقدّرني كثيراً.. وستتزوج قريباً.

ـ آرثر؟ تتزوجان؟ ومن هو آرثر؟.

ـ إنه.. آرثر تومسون، ألم يكن عظيماً هذه الليلة؟ الطريقة التي كان يزايد بها دون خوف أو دون أن يرتكب الحماقات!.

تمتم نيل، وكأن الاسم أثار ذكرى في رأسه:

ـ تومسون.. يبدو لي الاسم مألوفاً. أين سمعت به من قبل..؟.

أحست ترودي بأن أوان الضربة قد حان.. قبل أن تقال كلمات لا مرد لها! فقالت:

ـ نيل... إذا كانت ڤيڤيان ستتزوج... فعليك أن تتزوجني.

ـ وهل تعنين ما تقولين؟

ـ أنا لا أقول شيئا لا أعنيه.

ربتت ڤيڤيان ذراع نيل.

ـ يجب عليك حقاً أن تتزوجها.

ـ سأفعل.. سأفعل.. ما إن تسمح لي.

وقبل أن تقدر على التفوه بكلمة جاءهم رونالد ودوريس وهو

3tt3.net

يقول:

ـ آه! هل أنت بخير يا ترودي؟.

قالت دوريس:

ـ ترودي، اتصلي بي متى احتجت للمساعدة. سأذهب لأكتب قصة الموسم. القصة التي سترقّيني دون أدنى شك. ولا أجحفك حقك إذا ما قلت أنني تمتعت بها متعة لم تكن لي منذ سنوات والسيد تومسون...

فقطب نيل حاجبيه:

ـ تومسون..

علمت ترودي أنه سيدرك الأمر في لحظات الآن، بعد أن دفع كل هذا المال... يا إلهي مستقبلي على المحك!.

ـ نيل.. أشعر بالدوار.. كثيراً..!.

ـ ما بك؟.

ـ يجب عليك أن ترعاني يا نيل.

ـ سأفعل.. سأفعل.

ـ يجب عليك أن تزيل قلقي حالاً!

ـ ما دام هذا مطلبك فعلينا الزواج غداً... الليلة، في الحال...

راقبهما رونالد يذهبان دون أن يقول شيئاً. ابتسم لنفسه وهو يعود إلى قاعة الرقص ضاحكاً بعد أن رأى أن نيل يبدو وكأن قطاراً مسرعاً قد صدمه ثانية.

لا خوف البتة على ترودي، فكر رونالد بفخر. باستطاعتها خلق المفاجآت المؤثرة متى شاءت. ومن الواضح أن نيل لا يحتاج إلى إذن آخر منه. وسيرزق بحفيد في فرصة أقرب مما

اعتقد. حاول تصور نوع هذا الحفيد الذي قد تنجبه ترودي من نيل. لا بد أن يكون ممن سيهزّون الأرض. سيكون هزة أرضية صغيرة. فهو.. أو هي.. لن يكون أو تكون أقل من ذلك.

* * *

كان نيل يعانق ترودي بحنان عندما رن جرس الباب في الشقة، تركها على مضض وهو يلتقط أنفاسه.

ـ الله وحده يعلم من يكون الطارق في مثل هذه الساعة، سأفتح الباب يا حبيبتي. هل تحبين أن أجلب شيئاً تأكلينه أو تشربينه؟.

ـ لا... أنا في خير حال الآن. عد بسرعة أرجوك.

تنفس عميقاً ثم أجبر نفسه على تركها، لتقوده رجلاه إلى الباب، ما إن فتحه حتى طالعه رجل لم يره من قبل يقول إنه وكيل أملاك وإنه أخيراً استطاع إيجاد ترودي براند. طالب أن يراها لأنها تدين له بأجرة شهر عن مكتبها، وإلا سيسلمها إنذاراً.

ـ وبكم هي مدينة لك؟.

تذكر أنها قد أخبرته يوماً بكل صراحة عن عدم نجاحها في الأمور المالية وهذا أمر لا يهمه فليس لديه أي اعتراض في أي وجه من الوجوه على هذه المرأة الخلابة التي ستصبح أم أطفاله.

قال للرجل بصوت فولاذي:

ـ أنت تتكلم عن زوجتي، لذا حذار مما تقول.

ـ ولكن المال...

ـ ارجع لتراني يوم الاثنين. سأحضره لك.

لا يهمه أبداً ما ستكلفه ترودي، وهو مستعد إلى دفع ثروة في

3tt3.net

سبيل الحفاظ عليها. ولما تذكر شيئاً كانت قد قالته عن المبنى قال للرجل:

ـ بالمناسبة، يهمني شراء البناء الذي فيه المكتب فاعمل على إعداد الصفقة. إذا استطعت أن تؤمن لي سعراً مناسباً فقد نقوم بعمل ما معاً.

ـ هل تريد شراءه؟.

ـ نعم إن وافقني السعر. فزوجتي... تقول لي انه سيكون بناء مهماً يوماً ما. وأنا أميل إلى تصديقها.

ـ أجل.. أجل..

وافق الوكيل بكل جشع. فلو أن زوجته هي ترودي براند، فإنها قادرة على جعل أي رجل يصدق أي شيء. قد تكون على حق في قولها لأن البناء يقع في مكان هام.

ـ عمت مساء سيدي.. وشكراً لك.. سأراك يوم الاثنين سيدي.

أقفل نيل الباب وهو يحس بالسعادة لأنه سيمنحها هذا البناء الذي سيشتريه لكن عليه بالزمردة أولاً.. توجه إلى خزنة في الجدار وأخرج منها علبة مجوهرات، لقد أراد أن يتخذ الرحلة وسيلة ليطلب منها الزواج وكان قد اشترى الزمردة لتعينه أيضاً على إقناعها. لكن ترودي فوتت عليه التوقيت مرة أخرى، على كل حال ما حدث كان أفضل بكثير من أي خطة حضّرها.

ضحك بصوت منخفض لنفسه وهو يفكر بسبب إفساد توقيته. السيد تومسون.. ڤيڤيان دورلاند.. دوريس غودريك.. السيد تومسون كان لولب المزاد، والخداع كله، خداع ماهر فيه بصمات ترودي في كل خطوة ولقد كان بطيئاً جداً في فهم ما يحدث..

ترودي.. وضحك ثانية. يا لهذه الحبيبة المخادعة.. لن يكشف لها بالطبع ما يعرف. مئتان وخمسة وعشرون ألف جنيه دفعها لأجل هذه الرحلة...

عاد إليها وفي يده علبة المجوهرات:

ـ هل هذا يكفي كبداية لزواجنا؟.

فتحت العلبة فشهقت شهقة كانت سمفونية عذبة لأذنيه.

ـ هذه لي؟ أوه يا نيل! هذه ليست عناية فحسب!.. هذا.. هذا.. إفساد ودلال.

وتمدد بقربها وأمسك بالخاتم.

ـ أولاً.. هذا...

حمل الخاتم ثم وضعه في إصبعها وهو يقول:

«أولاً نضع الخاتم. ثم هذين». انحنى قليلاً فوضع القرطين في أذنيها وهو يقول: «هذان ليتلاءما مع لون عينيك الساحرتين». ثم أخرج القلادة بعد ذلك ووضعها حول عنقها وهو يقول: «وهذه لأنك كريمة معي».

كانت عيناه تفيضان حباً.

ـ أحبك يا نيل.

كانت تعترف بحبها له وفي عينيها يبدو الحب جلياً. أحسّ في هذه اللحظة بإحساس كامل سيحتفظ به في أعماق قلبه.

ـ أحبك يا ترودي.

طوقته ذراعاها بشغف.

ـ أصدقائي يدعونني ترودي.

ـ من يحبك حقاً يجب أن يدعوك ترودي.

كانت كلماته الأخيرة أفضل ما سمعته في حياتها. فمن الرائع

3tt3.net

أن يعترف كل منهما بحبه. تساءلت لماذا تأخرت كل هذا الوقت لتقبل السعادة التي تريدها.

بالنسبة إلى نيل هذه المرأة التي بين ذراعيه... هي كل ما يريده من هذه الدنيا. إنها جزء منه، من كيانه وقلبه وروحه. إنها محور وجوده وسعادته، إنها وحدها القادرة على أن تميد الأرض تحت قدميه في مستقبل أيامه كما هزّت كيانه منذ اللحظة التي وقعت عليها عيناه. لكنه لا ولن يستطيع العيش بدونها. فهي ستبقى دائماً وأبداً زوجته.

***

3tt3.net